الباب الرابع عشر
في ذكر المواضع التي يُستجاب فيها الدعاء:

* **ذكر الحسن البصري** في رسالته المشهورة: أن الدعاء يستجاب بمكة في خمسة عشر موضعًا:

عند الملتَزَم - وتحت الميزاب - وعند الركن اليماني - وعلى الصفا - وعلى المرْوَة - وبينهما - وبين الرّكْن والمقام - وفي جوف الكعبة - وبمِنَى - وجمع - وعرفات - وعند الجمرة الأولى - والوسطى - وجمرة العَقَبة[1].

هكذا ذكر أولاً خمسة عشر، وإنما ذكر أربعة عشر.

* **قال في «تحفة الكرام»**: يُحتمل أن يكون المكان الذي سقط فيه خلف المَقام، ويُحتمل أن يكون في الطواف؛ لأنه رُوي عن الحسن البصري عدَّ هذين الموضعين في المواضع التي يُستجاب بها الدعاء بمكة.

قال المحبّ الطبري: ورُوي عن الحسن أن الحجر الأسود يُستجاب عنده الدعاء فتصير المواضع ستة عشر. قال، وسيأتي عند ظَهْر الكعبة موضع سابع عشر، ومراده المستجار ما بين الركن اليماني والباب المسدود.

قال في «تحفة الكرام»: وفيما قاله الحسن من أنه يُستجاب عند جمرة العقبة (٢٠/ب) نظرٌ؛ لأن المطلوب أن لا يقف عندها وكيف يفعل شيئًا المطلوب خلافه ويستجاب له، إلا أن يريد بقربها أو وهو مار. قال: وفيه بُعْد.

---

(١) «رسالة فضائل مكة». الحسن البصري» (ص: ٦٥).

* **وذكر القاضي مجد الدين الشيرازي**: يُستجاب أيضًا في ثبير وفي مسجد الكبش. زاد غيره ومسجد الخيف. زاد آخر وفي مسجد النَّحر، ببطن[١] مِنى. زاد ابن الجوزي: وفي مسجد البيعة، وغار المرسلات، ومغارة الفتح؛ لأنها من ثبير.

وقال النقاش: يُستجاب الدُعاء إذا دخل من باب بني شيبة، وفي دار خديجة بنت خويلد ليلة الجمعة، وفي مولد النبي ﷺ يوم الاثنين عند الزوال، وفي دار الخيزران عند المحسا بين العشاءين، وتحت السّدرة بعرفة وقت الزوال، وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء، وفي المتّكا غداة الأحد، وفي جبل ثور عند الظهر وفي حِراء وثَبير مطلقًا، وفي مسجد النَّحر - انتهى.

* * *

(١) في «ق» «بطن».

الباب الخامس عشر
في ذكر طواف الحشرات بالبيت:

* **ذكر ابن الجوزي بسنده إلى عبد اللّه بن صفوان**: أنه بينا هو قريب من البيت إذ أقبلت حيَّة من باب العراق حتى طافت بالبيت أسبوعًا ثم أتت الحجر فاستلمته، فنظر إليها عبد اللّه بن صفوان فقال: أيها الجان قد قضيتَ عُمْرتكَ وإنا نخاف عليكَ بعض صبياننا فانصرف، فخرجتْ راجعة من حيث جاءت.

* **وذكر الأزرقي عن أبي الطفيل قال:**

كانت امرأة من الجنِّ في الجاهلية تسكن ذا طُوىَ وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره، وكانت تحبه حبًّا شديدًا، وكان شريفًا في قومه فتزوج وأتى زوجته فلما كان يوم سابعه قال لأمّه يا أمّه إني أحب أن أطوف بالكعبة سبعًا نهارًا، فقالت له أمُّه: أيْ بُنىَ إني أخاف عليك سفهاء قريش، فقال أرجو السلامة، فأذنت له فولّى في صورة جان إلى أن ذكر أنه طاف بالبيت سبعًا وصلّى خلف المَقام ركعتين وأنه دخل بعض دُور بني سهم فقتله شاب من بني سهم أحمر أكتف أزرق أحول أعسر، فثارت بمكة غبْرة حتى لم يبصر (٢١/أ) لها الجبال. قال أبو الطفيل وبلغنا أنه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن. قال فأصبح من بني سهم على فراشهم موتى كثيرًا من قتلى الجن، وكان فيهم سبعون شيخًا أصلع سوى الشباب. قال فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنِيَّة فما تركوا حيَّة ولا عقربًا ولا حكًا ولا عطانة ولا خنفسًا ولا شيئًا من الهوامّ يدب على وجه الأرض إلَّا قتلوه فأقاموا بذلك ثلاثًا فسمعوا في الليلة الثالثة على أبي قبيس

هاتفًا يهتف بصوت له جهْوَرِيّ يسمع به[١] بين الجبلين: يا معشر قريش اللّه اللّه، فإن لكم أحلامًا وعقولاً أُعذرونا من بني سهم، فقد قتلوا منّا أضعاف ما قتلنا منهم أُدخلوا بيننا وبينهم بالصلح نعطيهم ويعطوننا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدًا. ففعلت ذلك قريش واستوثقوا لبعض من بعض فسُمُّوا بنو سهم العناطلة قتلة الجن[٢].

* **وذكر الأزرقي أيضًا عن محمد بن هشام السهمي قال**: كنت بمال لي بتَبالة[٣] أجد نخلاً لي به وبين يدي جارية لي فارهة فصُرِعتْ قدّامي، فقلت لبعض خدمنا: هل رأيتم هذا منها قبل هذا؟ قالوا: لا، قال فوقفت عليها فقلت يا معشر الجن أنا رجل من بني سهم وقد علمتم ما كان بيننا في الجاهلية من الحرب وما صرنا إليه من الصلح والعهد والميثاق وأنْ لا يغدر بعضنا ببعض ولا يعود إلى مكروه صاحبه فإن وَفيْتم وَفيْنا وإن غَدرتم غَدرْنا إلى ما تعرفون قال: فأفاقت الجارية ورفعت رأسها فما عِيد إليها بمكروه حتى ماتت[٤].

* **وذكر الأزرقي عن طلْق بن حبيب قال**: كنا جلوسًا مع عبد اللّه بن عمرو بن العاص في الحِجْر إذ قلَص الظلّ وقامت المجالس، إذا نحن ببريق أيِّم طالع من هذا الباب، يعني باب بني شيبة، فاشرأبت له أعين الناس فطاف بالبيت سبعًا وصلّى ركعتين وراء المَقام فقمنا إليه فقلنا ألا أيها المعتمر قد قضى اللّه نسكك وإن بأرضنا عبيدًا وسفهاء وإنا (٢١/ب) نخشى عليك

---

(١) في «ق» «من».

(٢) «أخبار مكة» (٢/ ١٥).

(٣) تبالة: موضع ببلاد اليمن، أو بلدة من أرض تهامة في طريق اليمن «معجم البلدان» للحموي (٢/ ٩).

(٤) «أخبار مكة» (٢/ ١٦).

منهم. فكوَّم برأسه كومة بطحاء ووضع ذنبه عليها فسما في السماء حتى مَثُل علينا فما نراه.

قال أبو محمد الخزاعي: الأيِّم: الحية الذكر[١].

* * *

(١) «أخبار مكة» (٢/ ١٧).

الباب السادس عشر
في ذرع الكعبة من جهاتها الأربع وارتفاعها في السماء وذِكْر الشاذروان[١]:

قال أبوالوليد[٢] : كان إبراهيم الخليل عليه السلام بنى الكعبة، البيت الحرام، فجعل طولها في السماء: تسع أذرع، وطولها في الأرض: ثلاثين ذراعًا، وعرضها في الأرض: اثنين وعشرين ذراعًا. وكان غير مسقف في عهد إبراهيم عليه السلام، ثم بَنَتْها قريش في الجاهلية والنبي ﷺ يومئذ غلام ، فزادت في طولها في السماء: تسعة أذرع أخرى، فكانت في السماء : ثمانية عشر ذراعًا، وسقفوها ونقصوا من طولها في الأرض: ستة أذرع وشبرًا تركوها في الحِجْر، واستُقصرت دون قواعد إبراهيم عليه السلام ، جعلوا رَبَضًا[٣] في بطن الكعبة وبَنَوا عليه حين قصَّرت بهم النفقة. وحجَّروا الحِجْر على بقية البيت لأن يطوف الطائف من ورائه، فلم تزل على ذلك حتى كان زمن عبد اللّه بن الزبير فهدم الكعبة وردها إلى قواعد إبراهيم عليه السلام وزاد في طولها في السماء: تسعة أذرع أخرى على بناء قريش. فصارت في السماء: سبعة وعشرين ذراعًا، وأوْطأ بابها بالأرض وفتح في ظَهرها بابًا آخر مقابل هذا الباب. وكانت على ذلك حتى قُتل ابن الزبير وظهر الحجَّاج وأخذ

---

(١) الشاذروان: بفتح الشين والذال وسكون الراء معرّب. شاذروان الكعبة: الإفريز البارز بمقدار ثلي ذراع في أسفل جدران الكعبة. «معجم لغة الفقهاء» (ص: ٢٢٧).

(٢) في «ق» «أبو اليد».

(٣) الربض: أساس البناء، وقيل: وسطه. اللسان: مادة «ربض».

الكعبة، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يأمره بهدم ما كان ابن الزبير زاد من الحجر في الكعبة وردها إلى قواعد قريش التي استقصرت في بطن البيت وكسيها بما فَضَل من حجارتها وسدّ بابها الذي في ظهرها ورفع بابها الذي في وجهها وتركها على طولها، وطولها في السماء اليوم: سبعة وعشرون ذراعًا، وذرع طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامي: خمسة وعشرون ذراعًا، ومن الأسود إلى اليماني: عشرون ذراعًا، ومن اليماني إلى الحِجْر: خمسة وعشرون (٢٢/أ) ذراعًا، وذرع شقها الذي فيه الحِجْر من الركن الشامي إلى الركن الغربي: أحد وعشرون ذراعًا، وذرع جميع الكعبة مكسر أربعمائة ذراع وثماني عشرة ذراعًا وذرع نفد جدار الكعبة: ذراعان.

والذراع: أربعة وعشرون إصبعًا.

والكعبة لها سقفان: أحدهما فوق الآخر. وطول الكعبة في السماء إلى السقف الأسفل مما يلي باب الكعبة: ثماني عشرة ذراعًا ونصف، وطولها في السماء إلى السقف الأعلى: عشرون ذراعًا، وذرع التحجير الذي فوق سطح الكعبة: ذراعان ونصف، وذرع طول الميزاب: أربع أذرع، وسعته: ثماني أصابع في ارتفاع مثلها.

والميزاب: ملبَّس صفائح ذهب داخله وخارجه. وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك.

وذرع الكعبة؛ من وجهها من الركن الذي فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامي وفيه الباب: تسع عشرة ذراعًا وعشر أصابع، وذرع ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي وهو الشق الذي يلي الحِجْر: خمسة عشر ذراعًا وثماني عشرة أصبعًا. ومنه إلى الركن اليماني وهو ظَهْر الكعبة: عشرون ذراعًا وست أصابع، ومن اليماني إلى الأسود: ستة عشر ذراعًا وست أصابع، وذرع طول باب الكعبة في السماء: ستة أذرع وعشرة أصابع وهما

مصراعان، عرض كل مصراع: ذراع وثماني عشرة أصبعًا.

* **وذكر الأزرقي في موضع آخر**: أنَّ ذَرْع الكعبة من خارجها في السماء من البلاط المفروش حولها: سبع وعشرون ذراعًا وستة عشر إصبعًا، وطولها من الشاذروان سبعة وعشرون ذراعًا، وعدد حجارة الشاذروان التي حول الكعبة: ثمانية وستون حجرًا في ثلاثة وجوه، من ذلك الركن الغربي إلى اليماني: خمسة وعشرون حجرًا منها حجر طوله ثلاثة أذرع ونصف وهو عتبة الباب الذي سُدّ في ظَهر الكعبة، وبينه وبين الركن اليماني: أربعة أذرع، ويسمَّى «المستجار».

وفي الركن اليماني حجر مدور بين الركن اليماني والركن الأسود: تسعة عشر حَجَرًا.

ومن حد الشاذروان إلى الركن الذي فيه الحجَر (٢٢/ب) الأسود: ثلاثة أذرع واثنتا عشرة أصبعًا ليس فيه شاذروان.

ومن حدّ الركن الشامي إلى الركن الذي فيه الحجَر الأسود: ثلاثة وعشرون حجرًا.

ومن الشاذروان الذي يلي الملتَزَم إلى الركن الذي فيه الحجر: ذراعان ليس فيها شاذروان، وهو المُلتَزَم، فطول الشاذروان في السماء: ست عشرة أصبعًا وعرضه: ذراع[1].

والشاذروان: بفتح الذال: وهو من جدر البيت الحرام ما ترك من عرض الأساس خارجًا ويسمى تأزيرًا؛ لأنه كالإزار للبيت.

وعند الشيخ تقي الدين: أن الشاذروان ليس من البيت بل جُعِل عمارًا للبيت.

---

(١) «أخبار مكة» (١/ ٢٨٨).

تنبيه:

هكذا ذكر أبو الوليد: أن ابن الزبير زاد في طولها تسع أذرع، والذي في «**صحيح مسلم**» من رواية عطاء: أنه زاد عشرة أذرع، واللَّه تعالى أعلم[١].

(١) «مسلم» (١٣٣٣).

الباب السابع عشر
في ذكر المقام:

قد تقدم عن عمرو بن العاص مرفوعًا : «الحَجَر والمَقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طَمَس اللَّه نورهما، ولولا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب»[(١)].

وعن ابن عباس قال: «ليس في الأرض من الجنة إلا الرُّكْن الأسود والمقام فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة، ولولا ما مسّهما من أهل الشرك، ما مسَّهما ذو عاهة إلَّا شفاه اللَّه تعالى»[(٢)].

* **وعن مجاهد أنه قال** : «لا تمسّ المقام فإنه من آيات اللَّه»[(٣)].

وعنه أيضًا؛ أنه قال في قول الله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾[(٤)] قال: أثر قَدَمَيْه في المقام[(٥)].

* **وفي سبب وقوفه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه وقف عليه حين أذّن للناس بالحج. قال الطبري: وهو أظهر.

---

(١) تقدم

(٢) «أخبار مكة» للأزرقي (٣/ ٢٩)، «أخبار مكة» للفاكهي (١/ ٤٤٠).

(٣) «أخبار مكة» للأزرقي (٣/ ٢٩).

(٤) «آل عمران» [آية: ٩٧].

(٥) «أخبار مكة» للأزرقي (٣/ ٢٩)، «تفسير ابن جرير الطبري» (٣/ ٣٥٨).

وقد رُويَ عن أبي سعيد الخُدْري أنه قال: سألت عبد اللَّه بن سلام عن الأثر الذي بالمقام، فقال: كانت الحجارة على ما هي عليه اليوم، إلَّا أن اللَّه سبحانه وتعالى (٢٣/أ) أراد أن يجعل المقام آية من آيات اللَّه تعالى فلما أمَر إبراهيم عليه السلام أن يؤذِّن في الناس بالحج قام على المقام وارتفع المقام حتى صار أطول الجبال وأشرف على ما تحته فقال: «يا أيها الناس أجيبوا ربكم» فقالوا: «لبيك اللَّهم لبيك» فكان أثره ﷺ لما أراد اللَّه سبحانه، فكان ﷺ ينظر عن يمينه وعن شماله: أجيبوا ربكم، فلما فرغ أمَر بالمقام فوضعه قِبَله فكان يصلي إليه مستقْبل الباب فهو قبله إلى ما شاء اللَّه.

الثاني: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل فلم يجده، فقالت له زوجته: انزل فأبى، فقالت: فَدعني أغسل رأسك، فأتته بحجر؛ فوضع رجليه عليه وهو راكب، فغسلت شقه ثم رفعته وقد غابت رجله فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله فيه، فجعله اللَّه تعالى من الشعائر. وهذا مروي؛ عن ابن مسعود وابن عباس[١].

الثالث: أنه قام على ذلك الحجر لبناء البيت. وكان إسماعيل يناوله الحجارة، قاله: سعيد بن جبير.

وروى محمد بن سعد عن أشياخ له: أن عمر بن الخطاب أخَّر المقام إلى موضعه اليوم، وكان ملصقًا بالبيت.

وذكر ابن كثير (٢٣/ب) في تفسيره[٢]: أن المقام كان ملصقًا بجدار الكعبة قديمًا ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحِجْر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٦٨).
(٢) (١/ ١٦٨).

وكان الخليل لما فرغ من بناء البيت وضعه على جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا، واللَّه أعلم، أُمر بالصلاة هناك عند فراغ الطواف وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه.

وإنما[١] أخَّره عن جدار الكعبة: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة.

وقد روى عبد الرزاق، عن عطاء وعن مجاهد أن أول من أخَّر المقام إلى موضعه الآن: عمر بن الخطاب.

وروى الإمام أحمد في المناسك عن عبد الرزاق، ثنا ابن جريج قال: سمعت عطاء وغيره من أصحابنا يزعمون: أن عمر رضي اللَّه عنه أول مَن رفع المقام فوضعه في موضعه الآن وإنما كان في قُبُل الكعبة.

وروى البيهقي بسنده إلى عائشة: أن المقام كان في زمان رسول اللَّه ﷺ وزمان أبي بكر ملتصقًا بالبيت ثم أخرّه عمر بن الخطاب.

قال ابن كثير: وسنده صحيح[٢].

* **وروى ابن أبي حاتم عن سفيان بن عُيَينة قال** : كان المقام من صقع البيت على عهد رسول اللَّه ﷺ، فحوَّله عمر إلى مكانه بعد النبي ﷺ. وذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا فرده عمر إليه.

وقال سفيان: لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله.

قال سفيان: لا أدري أكان لاصقًا بها أم لا[٣].

---

(١) «وأما أخَّره» بجميع النسخ في «ع» «إنما آخره».

(٢) «ابن كثير» (١/ ١٧٠).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٢٦).

قال ابن كثير: فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه[١].

وذكر الحافظ أبو بكر بن مردَويه بسنده إلى إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال: قال عمر، يا رسول اللَّه، لو صلينا خلف المقام، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فكان المقام عند البيت فحوَّله رسول اللَّه ﷺ إلى موضعه هذا (٢٤/أ)، قال مجاهد: قد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.

هذا مُرسل عن مجاهد، وهو مخالف لما تقدَّم من رواية عبد الرزاق عن مجاهد: أول من أخَّر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطَّاب.

قال ابن كثير: وهو أصح من طريق ابن مردويَه مع اعتضاده بما تقدَّم[٢].

* **وذكر الأزرقي عن أبي مليكة أنه قال**: موضع المقام هذا الذي هو به اليوم، هو موضعه في الجاهلية، وفي عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر؛ فجعلوه في وجه الكعبة حتى قدِم عمر رضي اللَّه تعالى عنه فردّه بمحضر من الناس[٣].

ونقل المحب الطبري عن مالك في «**المدوَّنة**»: أن المقام كان في عهد إبراهيم عليه السلام في مكانه اليوم. وكان أهل الجاهلية ألصقوه إلى البيت خيفة السيل، فكان كذلك في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر رضي اللَّه عنه. فلما وَلِيَ عمر رضي اللَّه عنه ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخَّروه[٤]، وقيل إن عمر أخَّره أولاً ثم ذهب به السيل ثم أخَّره؛ **فيكون**

---

(١) «التفسير» (١/ ١٧١).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧١).

(٣) «أخبار مكة» (٢/ ٣٥).

(٤) «القرى لقاصد أم القرى» (٣٤٥، ٣٤٦).

أخَّره مرتين .

وذكر ابن جرير وابن الأثير: أن تأخير عمر له كان في سنة سبع عشرة من الهجرة.

وذكر ابن حمدون في تذكرته: أنه في سنة ثماني عشرة، والحفرة المرخَّمة عند الباب؛ يقال: إنها الموضع الذي صلّى فيه جبريل بالنبي ﷺ.

وقد تقدَّم كلام ابن كثير فيها.

*** قال بعض سدنته:**

ذهبنا نرفع المقام في خلافة المهدي فانثلم وهو حجر رخو، فخشينا أن يتفتت، فكتبنا في ذلك إلى المَهْدِي، فبعث إلينا بألف دينار فضببنا بها المقام، أسفله وأعلاه، ثم أمر المتوكل أن يجعل عليه ذهب أحسن من ذلك العمل ففعلوا.

*** وذرع المقام**: ذراع، والقدمان داخلان فيه: سبع أصابع، ودخولهما منحرفتان، وبين القدمين من الحجر: أُصبعان. والمقام مربع؛ سعة أعلاه: أربع عشرة أُصبعًا، في أربع عشرة أُصبعًا، ومن أسفله: مثل ذلك، وفي طرفيه من أعلاه وأسفله (٢٤/ب): طوقان من ذهب. وما بين الطوقين من الحجر: بارز بلا ذهب عليه. طوله من نواحيه كلها: تسع أصابع، وعرضه: عشر أصابع عرضًا، وعشر أصابع طولاً، وذلك قبل أن يُجعَل عليه هذا الذهب الذي هو عليه اليوم من عمل أمير المؤمنين المتوكل على اللَّه. وعرض حجر المقام من نواحيه: إحدى وعشرون أُصبعًا.

وبين الركن الأسود والمقام: تسع وعشرون ذراعًا وتسع أصابع.

وبين جدر الكعبة من وسطها إلى المقام: ست وعشرون ذراعًا ونصف، ومن الركن الشامي إلى المقام: ثمانية وعشرون ذراعًا وتسع عشرة أُصبعًا.

الباب الثامن عشر
في ذكر ابتداء زمزم وتجديدها بعد دثورها:

* **أما بُدوّ أمرها**؛ فكما ثبت في الصحيحين[١] في قصة إبراهيم عليه السلام لما جاء بهاجر وبابنها إسماعيل عليه السلام وهي ترضعه، ووضعهما عند دوحة فوق زمزم، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسِقاءً فيه ماء. والقصة فيها مشهورة، **وفيها**: أن هاجر لما نفد ما في السِقاء قامت تنظر وإسماعيل عليه السلام يتلوّى أو يتلبَّط، وفي لفظ: كأنه ينشغ للموت، فصعدت الصفا؛ لأنه أقرب جبل يليها تنظر هل ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا، فهبطت حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف دِرعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى أتت المروَة، فعلت ذلك سبع مرات. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه؛ تريد نفسها. ثم تسمَّعت، فسمعت أيضًا، فقالت قد أسمعت أن كان عندك غواث، فإذا هي بالملَك عند موضع زمزم. فبحث بعقبه أو قال بجناحه؛ فانبثق الماء، فدهشت أُم إسماعيل فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال النبي ﷺ: «رحم اللَّه أُم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا» فقد بان في هذا الحديث معنى تسميتها زمزم؛ لأن الماء لما فاض زمته هاجر.

قال (٢٥/أ) ابن فارس: وزَمزم من قولك زممت الناقة إذا جعلت لها

---

(١) «البخاري» (٣٣٦٤) «مسلم» (٢٣٧١).

زمامًا تحبسها به.

* **ثم دثرت زمزم بعد ذلك**؛ لأن بعض الجرهميين طمَّها. واختُلِف فيه: فالأكثر على أنه عمرو بن الحارث بن مضَّاض بن عمرو بن سعيد، أحد المعمّرين، وهو القائل بعد خروجه من مكة وتأسفه على فوات الأرب، وهو فيما زعموا أول شعر قيل في العرب:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْن الحُجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

الأبيات

* **فاستمرت على ذلك، حتى أُمِر عبد المطلب بحفرها في منامه مرارًا**، وقيل له: عند نُقْرَةِ الغراب الأعصم، فحفر عبد المطلب ثلاثة أيام ومعه ابنه الحارث ولم يكن له ولد سواه حتى بدا له الطُّوَى، فكبَّر وقال هذا طُوى إسماعيل، فقالت له قريش أشْرِكنا، فقال ما أنا بفاعل، فاتفقوا على أن يحاكموه إلى كاهنة بني سعد، فخرجوا إليها فعطشوا في الطريق حتى أيقنوا بالموت، فقال عبد المطلب: واللَّه إن ألقانا بأيدينا هكذا العجز أن لا نضرب في الأرض فعسى اللَّه أن يرزقنا ماء، فارتحلوا وقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر تحت خفّها عين ماء عذب فكبَّر عبد المطلب وكبَّر أصحابه وشربوا جميعًا وقالوا له قد قضى لك علينا الذي سقاك، فواللَّه لا نخاصمك فيها أبدًا فرجعوا وخلُّوا بينه وبين زمزم[1].

* * *

(١) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٤٣).

الباب التاسع عشر
في ذكر الشرب من ماء زمزم والوضوء والغُسل وإزالة النجاسة به:

* **ذكر الأزرقي عن وَهب بن منبِّه أنه قال عن زمزم** : «والذي نفسي بيده إنها لفي كتاب اللَّه تعالى طعام طُعْم وشفاء سُقْم»[(١)].

وروى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطُّعم وشفاء من السُّقم»[(٢)].

وذكر شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني: أن ماء زمزم أفضل من الكوثر؛ لأن به غُسل قلب النبي ﷺ ولم يكن يغسل أفضل القلوب إلا بأفضل المياه.

قال (٢٥/ب) بعض الأعيان: الحكمة في غسل قلب النبي ﷺ ليلة المعراج بماء زمزم ليقوى على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار، لأن من خواص ماء زمزم أن يقوِّي القلب ويسكّن الروع، واللَّه أعلم.

* **وذكر الأزرقي بسنده إلى جابر** أن النبي ﷺ قال ماء زمزم لما شُرب له[(٣)].

---

(١) «أخبار مكة» (٢/ ٤٩).

(٢) «المعجم الكبير» (١١/ ٩٨) رقم ١١١٦٧ .

(٣) «أخبار مكة» (٢/ ٥٢) و«المسند» (٣/ ٣٥٧) و«سنن ابن ماجه» (٣٠٦٢).

* **ويُستحب لمن شرب من ماء زمزم أن يكثر منه**؛ فقد روى[١] ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «التضلُّع من ماء زمزم براءة من النفاق» ذكره الأزرقي[٢].

واختلف العلماء؛ هل يُكره الوضوء والغُسْل من ماء زمزم. فعند الأكثرين: لا يكره، وعن أحمد روايتان: إحداهما كذلك، والأُخرى يُكره.

قال ابن الجوزي: لقول العباس: «لا أحلُّها لمغتسل، لكن لشاربٍ حِلٌّ وَبِلٌ»[٣].

وقال ابن الزاغوني: لا يختلف المذهب أنه يَنهى عن الوضوء به لقول العباس لا أحلُّها لمغتسل وهي لشارب حلٌّ وبلٌ.

واختُلف في السبب الذي لأجله ثبت النهي على طريقين:

أحدهما: أنه اختيار الواقف وشرطه وهو قول العباس المتقدم وهذا كما لوسبَّل ماءً للشرب هل يجوز الوضوء به مع الكراهة أو يحرم ؟ على وجهين؛ ولأجل هذا: جاء وجه في الوضوء بالتحريم.

والثانية: أن سببه الكرامة والتعظيم:

فإن قلنا: إن ما ينحدر من أعضاء المتوضئ طاهر مطهِّر كمذهب مالك: لم يكره.

وإن قلنا: إنه طاهر غير مطهِّر: كره.

---

(١) في «ق» «رُوي عن ابن عباس».

(٢) «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٥٢)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢/ ٢٨)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٥/ ١١٢-١١٣)، والدارقطني (٢/ ٢٨٨).

(٣) «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢/ ٥٠).

وإن قلنا: إنه نجس كمذهب الحنفية: حرم.

وقيل: يكره الغسل دون الوضوء، واختاره أبو العباس؛ لأن حدث الجنابة أغلظ وهي تجري مجري إزالة النجاسة من وجه، ولهذا عمَّت البدن كله، ولأن العباس إنما حَجَزها[١] عن الغُسْل خاصة.

وأما إزالة النجاسة به فهل يحرم أم لا، أم يحرم حيث تنجس ؟ في المسألة : ثلاثة أقوال، وقال بالكراهة: الروياني من الشافعية، وبالتحريم: المحب الطبري[٢] ، وكذا الماوردي؛ لكنه خصَّه بالاستنجاء.

* * *

(١) في «ق، س»: «حجرها».

(٢) «القرى لقاصد أم القرى» (ص: ٤٩٠).

الباب العشرون
في أسماء زمزم:

* **زمزم**: بالزاي المكررة غير مصروفة للتأنيث (٢٦/أ) والعَلَمية: البئر المباركة المشهورة بمكة وبينها وبين الكعبة: ثمان وثلاثون ذراعًا.

قيل: سُميت بذلك لكثرة مائها.

وقيل: سميت بذلك لصوت الماء وانبثاقه لمَّا خرج.

قال أبو إسحاق إبراهيم بن إسحق الحربي: سُمِّيت زمزم لتزمزُم الماء فيها، وهو حركته، **والزمزمة**: الصوت تسمع له دويًّا.

وقال المسعودي: سميت زمزم؛ لأن الفُرْس كانت تحج إليها في الزمن الأول فتزمزم عليها، والزمزمة: صوت تخرجه الفَرَس من خياشيمها عند شرب الماء.

وقد كتب عمر رضي اللَّه تعالى عنه إلى عماله أنْ: أُنهو الفُرْس عن الزمزمة.

وقيل: بل من ضمِّ هاجر لها حين انفجرت وزمّها الماء.

وقيل: بل من زمزمة جبريل وكلامه عليها.

وقيل: هو اسم لها عَلَم.

* **ولها ستة وأربعون اسمًا:**

أحدها: زمزم.

الثاني: زمزوم بزيادة واو.

الثالث: زمازم بزيادة ألف.

الرابع: زُمَزِم، بضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه.

الخامس: كذلك إلا أن الثاني مشدَّد.

والسادس: تكتُم بوزن تكتُب.

السابع: المضنونه[1].

الثامن: طعام طُعم.

التاسع: شفاء سُقم.

العاشر: شراب الأبرار.

الحادي عشر: برَّة.

الثاني عشر: سُقيا اللَّه تعالى إسماعيل عليه السلام.

الثالث عشر: بركة.

الرابع عشر: سَيِّدَة.

الخامس عشر: نافعة.

السادس عشر: مصونة.

السابع عشر: عُونة.

الثامن عشر: بُشرى.

---

(١) في «ق» «المصونة»، وفي «أخبار مكة» (٢/ ٦٨ «مضنونة» وفي «مثير العزم» (٢/ ٤٧) «المضنونة» وسميت مضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين.

التاسع عشر: صافية.

العشرون: عصمة.

الحادي والعشرون: سالمة.

الثاني والعشرون: ميمونة.

الثالث والعشرون: مباركة.

الرابع والعشرون: كافية.

الخامس والعشرون: عافية.

السادس والعشرون: مغذية.

السابع والعشرون: طاهرة.

الثامن والعشرون: حَرَميّة.

التاسع والعشرون: مُروِيَة.

الثلاثون: مؤنسة.

الحادي والثلاثون: شيَّاعة بفتح الشين المعجمة وتشديد الياء المثناة من تحت وبالعين المهملة، عزاه البكري إلى أبي عمرو الزاهد.

قال بعض الأعيان: هو غريب، والمعروف: بالباء الموحدة.

الثاني والثلاثون: قرية النمل.

الثالث والثلاثون: نُقرة الغراب.

الرابع والثلاثون: هزمة (٢٦/ب) إسماعيل عليه السلام.

ومن الثاني عشر إلى الثلاثين: مما رواه الفاكهي عن أشياخ مكة[١].

وما بعد الثلاثين إلى الأخير: ذكره في «**تحفة الكرام**» بصيغة التمريض.

الخامس والثلاثون: ذكر بعضهم، السقيا.

السادس والثلاثون: سِقاية الحاج.

السابع والثلاثون: مكنونة.

الثامن والثلاثون: دفين عبد المطلب.

التاسع والثلاثون: الدواء، بالفتح والمد.

الأربعون: شيعة.

الحادي والأربعون: بلتتومة، ذكره ابن خالوَيْه في أسمائها.

الثاني والأربعون: أم العيال.

الثالث والأربعون: طَيْبة، بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة تحت، يليها موحدة مفتوحة ثم هاء التأنيث.

الرابع والأربعون: طيِّبة بتشديد المثناة وكسرها.

الخامس والأربعون: هزمة جبريل، وهي الغمزة الداخلة في الأرض.

السادس والأربعون: همزة جبريل، بتقديم الميم على الزاي، وهو الغمز بمعنى الأول.

* وقولهم بئر زمزم، هو من إضافة المسمَّى إلى الاسم كقولهم سعيد كرز أيْ صاحب هذا اللقب.

---

(١) «أخبار مكة» (٢/ ٦٧٦٨).

* ومما أنشده الشيخ الإمام العالِم العلامة الحافظ شمس الدين محمد الشهير بابن ناصر الدين:

خَيرُ المِيَاه بِلَا نِزَاعٍ زَمْزَمُ ... لَا السَلْسَبيلُ، وكَوثَرًا يَتَقَدَّمُ
عَلِم النَّبيُّ مِياهَ جَنَّةِ رَبِّهِ ... وَيقولُ زَمْزَمُ: خَير ماءٍ فَافْهَمُوا
لَا يَلْتَقي أَبَدًا ونارَ جَهَنَّم ... في جَوْفِ مَنْ هُوَ في الحَقِيقَةِ مُسْلِمُ
يَنفي النِّفاق تَضَلُّعٌ مِنْ شُرْبِهِ ... يَشْفِي السُّقَامَ طعامُ طُعْم يُعْلَمُ
بيرٌ مُبَاركَةٌ وبرٌّ[1] طَيِّبَةٌ ... شَيَّاعَةُ أُمُّ العِيالِ وَزَمْزَمُ
وكَذَا الدَّوَاءُ وَهَمْزَةٌ مَظْنُونَةٌ ... وَشَرَابُ أَبْرارٍ بِذاك تُتَرْجَمُ
وتطلع[2] فيها يَكُونُ عِبَادَةً ... وجَلَا العُيُونِ ولِلخَطايا يَهْدِمُ
تَسْقي الحَجيجَ وَلَا تُذَمُّ بِخِلَّةٍ ... تَفْنَى المِياهُ وَمَاؤُهَا لَا يُعْدَمُ
وَمِنَ الجِنانِ اللَّه أَخْرَجَ ماءَها ... سُقْيَا لِهاجَرَ حَيْثُ لا هي تَعْلَمُ
وَبِمَائِها جبْرِيلُ، قَلْبَ مُحَمَّدٍ ... غَسْلًا أَجادَ، فَعَادَ وهو مُكَرَّم
مَلآنَ إيمانًا يُجَلُّ وحِكْمَةً ... يَدْعُو بِهَا، يا سَعْدَ مَنْ يَتَقَدَّمُ
(٢٧/ أ) لإجابَةِ الدَّاعي النبيّ مُحَمَّدٍ ... خَيْرِ الوَرَى عِنْدَ العظيم مُعَظَّمُ
صَلَّى عَلَيْه ربُّهُ أَعْلا الَّذي ... صَلَّى عَلَى عَبْدٍ يُعَزُّ ويُكرَمُ
وعَلَى الأكارِمِ[3] آلِهِ وَصِحَابِهِ ... أَزْكَى السَّلام يعُودُ إِذْ هُوَ يُخْتَمُ

– انتهى –

* وقد صرَّح الشيخ في نظمه هذا بأن زمزم خير من الكوثر.

وقد تقدم كلام البلقيني في الباب قبله.

---

(١) في «ق» «وبير».

(٢) في «ق» «تضلع منها منها» بتكرير «منها» وفي «س» «تضلع فيها».

(٣) في «م» «الاركام».

وقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن ناصر الدين أيضًا حديثًا في كتابه: «**الدراية فيما جاء في زمزم من الرواية**»، بسنده إلى جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه تعالى عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من طاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر اللَّه له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت» ثم قال: هكذا رواه أبوسعيد الجندي في كتابه: «**فضائل مكة**» وخرَّجه أبو حفص عمر بن أحمد ابن عثمان بن شاهين في كتابه: «**فضائل الأعمال**»[1].

ومما ذكره أيضًا في هذا الكتاب أن بمكة بئرًا أخرى يُقال لها «رمرم» براءين مهملتين مفتوحتين، كانت لبني سهم في ناحيتهم، فقال إنها دخلت في المسجد الحرام حين وسَّعه الخليفة أبو جعفر المنصور، واللَّه أعلم.

* * *

(١) «فضائل الأعمال» (ص: ٢٩٨) قال محققه: في إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة البخاري وهو متروك، وقيل: كذاب.

الباب الحادي والعشرون
في غور الماء قبل يوم القيامة إلَّا زمزم وذكر ذرعها وغور مائها وفوره:

* **ذكر الأزرقي بسنده عن الضحَّاك بن مزاحم**: أن اللَّه تعالى يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة، غير زمزم، وتغور المياه، غير[١] زمزم.

وذكر؛ أن ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها: ستون ذراعًا. وفي قعرها: ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، وعينٌ حِذاء أبي قبيس والصفا، وعين حِذاء المروة.

ثم كان قد قلّ ماؤها جدًا في سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ومائتين، فضرب فيها تسعة أذرع سحًا في الأرض في تقوير جوانبها، ثم جاء اللَّه تعالى بالأمطار والسيول في سنة خمس وعشرين. وكان رجل يُقال له محمد بن مبشر من أهل الطائف يعمل فيها لما قلّ ماؤها، قال: **أنا صليت في قعرها**. وغورها من رأسها إلى الجبل: أربعون ذراعًا ذلك كله (٢٧/ ب) بنيان، وما بقي فهو جبل منقور وهو تسع وعشرون ذراعًا. وذرع حبك زمزم في السماء ذراعان وشبر وذرعٌ تدوير، فم زمزم: أحد عشر ذراعًا، وسَعة فم زمزم: ثلاث أذرع وثلثا ذراع[٢].

* **وذكر الأزرقي عن أبي محمد الخزاعي أنه قال**: وقد رأينا في سنة

---

(١) في «م» «خير».

(٢) «أخبار مكة» (٢/ ٥٩).

إحدى وثمانين ومائتين، وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة فسال واديها بأسيال عظام في سنة تسع وسبعين وسنة ثمانين ومائتين فكثر ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسها فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلَّا سبع أذرع أو نحوها. وما رأيتها قط كذلك ولا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك. وعذبت جدًا حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التي يشربها أهلها. وكنت أنا وكثير من أهل مكة نختار الشرب منها لعذوبته وإنَّا رأيناه أعذب من مياه العيون. ولم أسمع أحدًا من المشايخ يذكر أنه رآها بهذه العذوبة، ثم غلظت بعد ذلك في سنة ثلاث وثمانين وما بعدها. وكان الماء في الكثرة على حاله وكنا نقدِّرها أنها لو كانت في بطن وادي مكة لسالَ ماؤها على وجه الأرض لأن المسجد أرفع من الوادي وزمزم أرفع من المسجد. وكانت شعاب مكة وفجاجها في هاتين السنتين وبيوتها التي في هذه المواضع تتفجر ماءً[1].

* * *

(١) «أخبار مكة» (٢/ ٦٠).

الباب الثاني والعشرون
في حدِّ المسجد الحرام ومن هو حاضره:

* **ذكر الأزرقي بسنده إلى علي الأزدي قال** ، سمعت أبا هريرة يقول: إنا لنجد في كتاب اللَّه تعالى أن حدَّ المسجد الحرام من الحزْوَرة إلى المسعى[١].

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أنه قال: أساس المسجد الذي وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزْورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد[٢].

وذُكر أيضًا عن عطاء أنه قال: المسجد الحرام، الحرم كله[٣]. وقد تقدَّم في الباب (٢٨/أ) الرابع ما يتعلق بذلك.

* **وأما حاضر المسجد الحرام**: فهم أهل الحرم ومن كان من الحرم دون مسافة القصر.

ذكره ابن هبَيْرة قول أحمد والشافعي. وقيل من مكة، وقاله أحمد، ونسبه بعض علمائنا إلى الشافعي أيضًا.

وقال ابن المنذر في «**الإشراف**»: هم أهل مكة وأهل ذي طُوى.

وقال مجاهد وطاوُس: هم أهل الحَرَم. وقال مكحول من كان أهله

---

(١) نفس المصدر (٢/ ٦٢).
(٢) نفس المصدر (٢/ ٦٢).
(٣) نفس المصدر (٢/ ٦٢).

خلْف المواقيت إلى مكة، فهو من حاضري المسجد الحرام، وبه قال الشافعي إذْ هو بالعراق، وأبو حنيفة. وقال مالك: هم أهل مكة.

الباب الثالث والعشرون
في ذكر حال انتهاء البيت:

* **روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة** عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرِب الكعبة ذو السويْقتين من الحبشة»[١].

وفي رواية له: «كأني به أسود أفحج[٢] يقلعها حجرًا حجرًا»[٣].

* **وروى أحمد عن أبي هريرة**: «يبايَع لرجل بين الركن والمقام، ولن يَستحلّ هذا البيت إلَّا أَهلُه، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلَكَةِ العرب، ثم تجيء الحبشة فيخرِبونه خرابًا لا يعمَر بعده أبدًا. وهم الذين يستخرجون كنزه»[٤].

* **ورُوي أيضًا** عن عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا: «فيسلبها حُليَّها ويجرِّدها من كُسوتها كأني أنظر إليه أصلع فَيْدَع، يضرب عليها بِمِسْحاته أَو بِمِعْوله»[٥].

* **واختلف الناس متى يكون ذلك:**

* **فذكر الحليمي في «منهاجه»**: أن ذلك يكون في زمن عيسى عليه

---

(١) رواه «البخاري» (١٥٩٦)، و«مسلم» (٢٩٠٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) في «م» «فحج».

(٣) «البخاري» (١٥٩٥) من حديث ابن عباس بلفظ «أفحج».

(٤) رواه «أحمد» (٢/ ٢٩١-٣١٢-٢٣٨-٣٥١).

(٥) رواه «أحمد» (٢/ ٢٢٠).

السلام، وأن الصريخ يأتيه بأن ذا السويْقتين وأصحابه قد ساروا إلى البيت لهدمه، فيبعث إليه عيسى عليه السلام طائفة ما بين الثمان إلى التسع.

* **وقال القرطبي**: الصحيح أن خرابه يكون بعد رفع القرآن من الصدور والمصاحف[١]، وبه جزم السهيْلي، **وذلك**: بعد موت عيسى عليه السلام.

ويوافق الأول ما في كتاب «الملاحم والفتن» لنعيم بن حماد من حديث عبد اللَّه بن (٢٨/ب) عمر: «وتخرج الحبشة بعد نزول عيسى عليه السلام فيبعث عيسى عليه السلام[٢] طليعة فيُهزَمون، وفي رواية، يُهدَم مرتين ويُرفع الحجر في الثالثة».

* **وذكر ابن بطَّال في «شرح البخاري»**: أن تخريب الحبشة يحصل، ثم تعود حُرمتها ويعود الحج إليها. واحتجّ بما رواه البخاري من حديث أبي سعيد قال، قال رسول اللَّه ﷺ: «ليحجَّنّ البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»[٣].

ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال، قال اللَّه تعالى: «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته، ثم أخرِب الدنيا على أثره».

وقال الحاكم في «مستدركه»: يمكن أن يُحَج ويُعتمر بعد ذلك، ثم ينقطع الحجّ بمرّة[٤].

قلت: ما صحَّحه القرطبي ظاهر، وهو موافق لرواية الإمام[٥] أحمد

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (٢/ ٧٠٧).

(٢) «السلام» سقطت من «م».

(٣) رواه «البخاري» (١٥٩٣).

(٤) «المستدرك» (٤/ ٤٥٣).

(٥) «الإمام» سقطت من «ق».

المتقدمة، ولا يُعَمَّر بعده أبدًا، فإن هذا، واللَّه أعلم، لا يكون إلَّا قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: **اللَّه اللَّه**.

* **قال القرطبي**: لا تَعارُض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[1] لأن تخريب الكعبة إنما يكون عند خراب الدنيا، ولعله يكون في الوقت الذي لا يبقى إلَّا شِرار الخلق فيكون حَرَمًا آمنًا مع بقاء الدين وأهله، فإذا ذهبوا ارتفع ذلك المعنى.

ولو قيل في الجواب: على أنه يُحمل ذلك على الأعمّ الأغلب من أحواله لَمَا كان بعيدًا، وإن كان قد وُجد الخوف فيه في أيام يزيد والقرامطة، فإنه شيء يسير نادر منْغَمر في الأعمّ الأغلب.

* **فإن قيل**: ما السر في حراسة الكعبة من الفيل ولم تحرس في الإسلام من الحجَّاج والقرامطة وذي السويْقتين ؟!

فالجواب؛ كما قال أبو الفرج إن حَبْس الفيل كان من إعلام نبوَّة رسول (٢٩/أ) اللَّه ﷺ ودلائل رسالته ولتأكُّد الحجة عليهم بالأدلَّة التي شوهدت بالبصر، مثل الأدلَّة المرئيَّة بالبصائر.

* * *

(١) «العنكبوت» (آية: ٦٧).

الباب الرابع والعشرون
في أسماء مكة:

* **ولها أسماء كثيرة، قد منّ اللَّه تعالى وله الحمد والمنَّة بتحصيل جملة صالحة منها:**

الأول: مكة.

واتفق العلماء: على أن مكة اسم لجميع البلد.

قال الزجّاج: مكة لا تنصرف؛ لأنها مؤنثة وهي معرفة.

قال ابن الجوزي: ويصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق؛ بكة لأن الميم تبدل من الباء، يقال ضربة لازم ولازب. وقد تقدم الكلام على اشتقاق بكة في الباب الأول، ويصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم إمْتَكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة، إذا مصَّ مصًّا شديدًا حتى لا يبقي فيه شيئًا فسُميت بذلك لشدة ازدحام الناس فيها.

وقال ابن فارس: تمككت العظم إذا أخرجت مخه، والتمكك الاسقتصار[1]، في الحديث: «لا تمكّكوا على غرمائكم»[2].

وفي سبب تسمية مكة بهذا الاسم أربعة أقوال:

أحدها: لأنها مثابة يؤمُّها الناس من كل فجٍّ عميق، فكأنها هي التي تجذبهم

---

(١) في «ق» «الاقتصار».

(٢) لم أقف عليه، وذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «مكك» و«مثير العزم الساكن» (١/ ٣٢٤).

إليها، من قول العرب: امْتَكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة.

الثاني: أنها تَمكُّ من ظلم فيها، أي تهلكه. وتمكّ الذنوب أي تُذْهبها.

الثالث: لجهد أهلها.

الرابع: لقلة مائها.

الثاني من أسمائها: البلد، قال اللَّه تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[1]، يعني: مكة. والبلد في اللغة: صدر القرى، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾[2].

الثالث: القرية. قال اللَّه تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾[3] يشير إلى مكة، فإنها كانت ذات أمْن، يأمَن أهلها أن يُغار عليهم، مُطْمَئِنَّةً أي ساكنة، أهلها (٢٩/ب) لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق يَأْتِيها، رِزْقُها رَغَدًا، والرَّغد: الرزق الواسع الكثير، فَكَفَرَتْ بأَنْعُم اللَّه تعالى، أي كذَّبت محمدًا ﷺ، فأَذاقَهَا اللَّه لِبَاسَ الجُوعِ والخوْفِ. وأصل الذوق بالفم، ولكنه استعارة منه، **وذلك**؛ أن اللَّه تعالى عذب كفار مكة بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجِيَف والعظام المحرقة. وكانوا يخافون من رسول اللَّه ﷺ ومن سراياه.

والقرية: اسم لما يجمع جماعة كثيرة من الناس، وهو اسم مأخوذ من الجمع، تقول: قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه، ويسمى ذلك الحوض: مقرًا.

---

(١) «البلد» (آية: ١).

(٢) «التين» (آية: ٣).

(٣) «النحل» (آية: ١١٢).

الرابع: أم القرى.

قال اللَّه تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾[٢].

وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عباس.

وقال ابن قتيبة؛ لأنها أقدمها.

والثاني: لأنها قِبلة يؤمها جميع الناس.

والثالث: لأنها أعظم القرى شأنًا.

والرابع: لأن فيها بيت اللَّه عزّ وجلّ. ولما اطردت العادة بأن بلد الملك وبيته هو المقدَّم على الأماكن سُمّي أُمًّا، لأن الأم مقدمَّة.

الخامس: بكة، على أحد الأقوال الأربعة:

وهو قول الضحَّاك. واحتج لتصحيحه ابن قتيبة؛ بأن الباء تبدل من الميم، يقال: سبد الرجل رأسه وسمد رأسه، إذا استأصله، وشرّ لازم ولازب.

والقول الثاني: أنها اسم للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس(٣٠/أ). وقد تقدَّم في الباب الأول، وتقدم أيضًا ذكر اشتقاق بكة هناك.

القول الثالث: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكْرمة. القول الرابع، أنها المسجد والبيت. ومكة اسم الحَرَم كله، قاله الزُّهري.

---

(١) «الشورى» (آية: ٧).

(٢) «القصص» (آية: ٥٩).

السادس: الناسَّة، بالنون أوَّله والسين المهملة المشددة آخره، من نسَّ الشيء إذا يبس من العطش.

قال في «الصحاح»: ويقال لمكة: الناسَّة؛ لقلَّة مائها من النسَّ وهو اليبَس.

السابع: الباسة، بالباء الموحدة. حُكِي عن مجاهد؛ لأنها تبسّ من ألْحَد فيها أي تحطمه وتهلكه. والبسّ، الحِطْم، قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾[1].

الثامن: النسَّاسة، بنون ثم سين مشددة؛ لأنها تنسّ الملحد فيها أي تطرده.

وقيل: لقلَّة مائها من النسّ وهو اليبس، كما تقدَّم.

التاسع: صلاح، بفتح الصاد وكسر الحاء على وزن قَطَام معدولة (٣٠/ ب) عن صالحة؛ لأن فيها صلاح الخلق، أو لأنها تُعملَ فيها الأعمال الصالحة.

ذكره المبرِّد.

العاشر: بالتنوين.

الحادي عشر: مخرج صِدق.

الثاني عشر: كُوثى، بضم الكاف وفتح الثاء المثلثة، باسم موضع بها.

الثالث عشر: الحاطمة، بالحاء المهملة لحطمها الملحد.

الرابع عشر: العَرش، بفتح العين المهملة وإسكان الراء على وزن فرش.

---

(١) «الواقعة» (آية: ٥).

الخامس عشر: العرش[١]، بضم العين والراء - كما ضبطه البكري في «معجمه».

السادس عشر: العريش، بزيادة ياء - ذكره ابن سِيدة.

السابع عشر: الرأس؛ لأنها أشرف الأرض كرأس الإنسان.

الثامن عشر: القادس.

التاسع عشر: المقدسة. نقلهما النَّووي.

العشرون: مَعاد[٢]، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٣] قال القتيبي ومجاهد: هي مكة، وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

الحادي والعشرون: صاحبة المشاعر العظام، وزمزم والمقام، والمسجد الحرام.

الثاني والعشرون: مهبط الوحي، وملاذ الرسل، ومعاذ الصالحين من سائر الأمم.

الثالث والعشرون: البلدة، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾[٤].

الرابع والعشرون: بلد اللَّه تعالى.

الخامس والعشرون: البلد الأمين.

---

(١) «العرش» سقطت من «ق».

(٢) في «م» «معاذ» بالذال.

(٣) «القصص» (آية: ٨٥).

(٤) «النمل» (آية: ٩١).

السادس والعشرون: البُنْية.

السابع والعشرون: برة. ذكره ابن خليل.

الثامن والعشرون: أمُّ رحم، بالراء المهملة المضمومة؛ لأن الناس يتراحمون ويتواصلون فيها، أو لأن الرحمة تنزل بها.

التاسع والعشرون: أمُّ راحم.

الثلاثون: أمُّ الرحم.

الحادي والثلاثون: أمُّ زحم بالزاي المعجمة.

الثاني والثلاثون: أمُّ صبح، ذكره ابن الأثير في كتابه «**المرصَّع**».

الثالث والثلاثون: أمُّ كوثى، ذكره ابن المرجاني.

الرابع والثلاثون: أمُّ روْح، ذكره ابن الأثير في كتابه «**المرصّع**».

الخامس والثلاثون: العطِشة.

السادس والثلاثون: القادسية.

السابع والثلاثون: المكتان، ذكره القيراطي[1] في ديوان شعره.

الثامن والثلاثون: سبوحة.

التاسع (٣١/أ) والثلاثون: السّلم.

الأربعون: العذر.

الحادي والأربعون: نادرة.

الثاني والأربعون: الوادي.

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٨٢).

الثالث والأربعون: البحر.

الرابع والأربعون: الحرم.

الخامس والأربعون: الحُرمة بالضم.

السادس والأربعون: الحِرمة بالكسر.

السابع والأربعون: الرتاج، براء مهملة مكسورة وتاء مثنّاة من فوق وألِف وجيم. ذكره المحب الطبري في «**شرح التنبيه**» فيما نقله عنه ابن جماعة.

قلت: المعروف في اللغة: أن الرتاج هو الباب العظيم، أو الباب المغلق.

الثامن والأربعون: بُساق، بباء موحدة وسين مهملة وألف وقاف. ذكره ابن رشيق في «**العُمدة**» في تفسير قول أمية بن حرثان:

سأَسْتَأْذِي عَلَى الفارُوقِ رَبًّا لَهُ عَمَدَ الحَجِيجُ إلَى بُسَاقِ

ثم قال ابن رشيق. وقد قيل إن بساق بلد بالحجاز.

التاسع والأربعون: النابتة، بالنون والباء الموحَّدة.

ذكره ابن كثير في تفسيره[1].

الخمسون: أمّ الرحمن. ذكره ابن المرجاني وعزاه لابن العربي.

الحادي والخمسون: العروس.

الثاني والخمسون: النابشة، بالنون والشين المعجمة.

الثالث والخمسون: البسَّاسة، بالباء الموحدة والسين المهملة.

الرابع والخمسون: البشاشة، بالباء الموحدة والشين المعجمة المكررة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» سورة «آل عمران» (آية: ٩٧).

الخامس والخمسون: النسناسة، بالنون المكرَّرة والسين المهملة المكررة.

السادس والخمسون: فاران، ذكره ياقوت الحموي[١].

السابع والخمسون: المسجد الحرام، ذكره ابن خليل في «**منسكه**»، وهذا من باب تسمية الشيء باسم بعضه.

الثامن والخمسون: قرية النمل.

التاسع والخمسون: نقرة الغراب.

الستون: قرية الحمُس.

الحادي والستون: السيل.

ذكر هذه الأربعة قاضي اليمن مجد الدين الشيرازي.

* **وكثرة الأسماء**: تدل على شرف المسمّى؛ ولهذا كثرت أسماء الله تعالى ورسوله ﷺ.

* * *

(١) «معجم البلدان» (٤/ ٢٢٥).

الباب الخامس والعشرون
في فضل مكة:

* **روى ابن الجوزي بسنده إلى النبي ﷺ**، أنه لما قدِم مكة أتته الأنصار فجلسوا حوله، فجعل يقلِّب بصره في نواحي مكة وينظر (٣١/ب) إليها ويقول: «واللَّه لقد عرفتُ أنك أحبّ البلاد إلى اللَّه عز وجل وأكرمها على اللَّه تعالى، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت»[١].

* **وبسنده أيضًا**: أن النبي ﷺ قال وهو واقف بالحزْوَرة من سوق مكة: «واللَّه إنك لخير أرض اللَّه وأحبّ أرض اللَّه تبارك وتعالى إليه، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجت»[٢].

* **وعن كعب قال**: «اختار اللَّه البلاد، فأحبُّ البلاد إلى اللَّه تعالى البلد الحرام»[٣].

* **وقال ابن إسحاق**[٤]: حُدِّثْنا أن قريشًا وجدت في الركن كتابًا بالسريانية فلم يُدْر ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود، فإذا فيه: «أنا اللَّه ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض. وصوَّرت الشمس والقمر، وحففتها

---

(١) «مثير العزم الساكن» (١/ ٣٢٨).

(٢) «مثير العزم الساكن» (١/ ٣٢٩). ورواه الترمذي (٤١٨٢). وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٣) «مثير العزم الساكن» (١/ ٣٢٩).

(٤) جميع النسخ (إسحاق) والصواب (ابن إسحاق) كما في «ع» و«مثير العزم الساكن» (١/ ٣٢٩).

بسبعة أملاك حُنُفا، فلا تزول حتى يزول أخشباها، مبارك لأهلها في الماء واللبن»[١].

* **وفي الصحيحين من حديث ابن عباس** عن النبي ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه اللَّه تعالى يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة اللَّه تعالى إلى يوم القيامة وأنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلي ولا يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه تعالى إلى يوم القيامة، ولا يُعضد شوكه ولا يُنفَّر صيده، ولا تلتقط[٢] لقطته إلا مَنْ عرفها، ولا يختلى خلاؤه، فقال العباس: يا رسول اللَّه، إلَّا الإذخر، فإنه لقينهم وبيوتهم، فقال: إلا الإذخر»[٣].

* **تنبيهان:**

أحدهما: الخلى، مقصور: هو الحشيش، فإذا مُدّ فهو المكان الخالي. ذكره ابن الجوزي[٤] وكذا قال ابن فارس في «**المجمل**»: إن الخلى، مقصور: هو الحشيش اليابس واحدته خلاة، والذي ذكره الجوهري وصاحب «**الكفاية**» وابن خطيب الدهشة: أن الخَلَى بالقصر: الرطْب من النبات. وأما الحشيش: فهو اليابس.

الثاني: الأخشبان: الجبلان، وهما أبو قبيس والجبل الذي يقال له الأحمر، وكان يسمى الأعرَف في الجاهلية[٥]، وهو الجبل المشرِف وجهه

---

(١) «مثير العزم الساكن» (١/ ٣٢٩).

(٢) في «ق» «يلتقط».

(٣) «البخاري» (١٨٣٤)، ورواه «مسلم» (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) «مثير العزم الساكن» (١/ ٢٣١).

(٥) «في الجاهلية» سقطت من «ق».

على قعيقعان. ومكة بين هذين الجبلين[١]. وأبو قبيس هو الجبل المشرف على الصفا إلى السويد إلى الحندمة، (٣٢/أ) وكان يُسمى في الجاهلية: الأمين؛ لأن الركن الأسود كان مستودَعًا فيه عام الطوفان.

واختلفوا لِمَ قيل له أبو قبيس على ثلاثة أقوال:

أحدها: لأنه أول مَن نهض فبنى فيه رجل من مذحج يسمى أبو قبيس، فلما صُعد بالبناء فيه سُمِّي جبل أبي قبيس.

وقيل: إنه من إياد، وهو الأشهر عند أهل مكة على ما ذكره الأزرقي[٢].

والثاني: لأنه اقتبس من الركن، فسمي لذلك.

قال ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن»: والأول أصح[٣].

والثالث: أن رجلاً يُقال له قبيس بن سالح بن جرهم كان قد وشى بين عمر ابن مضَّاض الجرهمي ملك جرهم بمكة وبين ميَّة بنت عمه، فنذرت أن لا تكلمه، وكان شديد الكلَف بها، فحلف ليقتلنّ قبيسًا. فهرب منه في الجبل المعروف به وانقطع خبره، فإمَّا مات وإمَّا تردَّى منه، فسُمي الجبل أبا قبيس. ذكر هذا القول السهيلي في «**الروض الأُنُف**»، وذكر: أن ابن هشام ذكره في خبر طويل في غير «**السيرة**» لابن إسحاق.

* **ورُوي عن ابن عباس**، أن أبا قبيس أول جبل وضع في الأرض[٤].

---

(١) «مثير العزم الساكن» (١/ ٣٣٠).

(٢) «أخبار مكة» (٢/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٣) (١/ ٣٣٠).

(٤) في «أخبار مكة» للأزرقي عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه قال: أول جبل وضعه الله عز وجل على الأرض حين مادت أبو قبيس.

وذكر أبو عبد اللَّه محمد القزويني في «**عجائب المخلوقات**» أن الناس يزعمون أن مَن أكل رأسًا مشويًا على أبي قبيس يأمن أوْجاع الرأس، وكثير من الناس يفعل ذلك.

* * *

الباب السادس والعشرون
في فضل صوم رمضان بمكة:

* **روى الأزرقي بسنده إلى ابن عباس** قال:

قال رسول اللَّه ﷺ: «من أدركه شهر رمضان بمكة وصامه كله وقام منه ما تيسّر: كتب اللَّه له مائة ألف شهر رمضان بغير مكة، وكتب له بكل يوم: حسنة، وكل ليلة: حسنة، وكل يوم: عِتْق رقبة، وكل ليلة: عتق رقبة، وكل يوم: حملان فرس في سبيل اللَّه عزَّ وجلّ، وكل ليلة: حملان فرس في سبيل اللَّه تعالى»[1].

* * *

(١) «أخبار مكة» (٢/ ٢٣) ورواه ابن ماجه (٣١١٧).

الباب السابع والعشرون
في أن الحسنات كلها تضاعف بمكة كالصلاة:

* **قال الحسن البصري:**

صوم بمكة: بمائة ألف يوم، وصدقة درهم: بمائة ألف درهم. وكل حسنة: بمائة ألف[١].

وقال إبراهيم النخعي: (٣٢/ب) كان يعجبهم إذا قدموا مكة، لا يخرجون حتى يختموا القرآن[٢].

* * *

(١) «فضائل مكة» (ص: ٦٤).

(٢) «فضائل مكة» (ص: ٦٤).

الباب الثامن والعشرون
في أن السيئات تضاعَف فيها كما تضاعَف الحسنات وأنه يعاقَب عليها قبل فِعلها:

* **قال ابن مسعود**: ولو أن رجلاً همَّ بقتل مؤمن عند البيت وهو بَعَدن أذاقه اللَّه تعالى في الدنيا من عذاب أليم.

* **وقال الضحَّاك**: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتُكتب عليه ولم يعملها.

* **وقال مجاهد**: تضاعَف السيئات بمكة كما تضاعَف الحسنات.

* **وسئل أحمد بن حنبل**: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة ؟ قال: لا؛ إلَّا بمكة لتعظيم البلد.

* **وسئل ابن عباس**؛ عن مقام يعني بمكة. **فقال**: ما لي ولبلد تضاعَف فيه السيئات كما تضاعَف الحسنات، ثم قيل: تضعيفها كمضاعفة الحسنات بالحرم، وقيل: بل خارجه.

* **قال بعض السلف لابنه**: «يا بني، إياك والمعصية، فإن عصيت ولا بد، فليكن في مواضع الفجور لا في مواضع الأجور؛ لِئلا يتضاعف عليك الوِزْر أو تعجّل لك العقوبة».

* **وقال بعضهم**: المراد بالمضاعفة: غِلظها لا كمِّيتها في العدد؛ **فإن السيئة**: جزاؤها سيئة؛ ولكن السيئات تتفاوت بالنسبة إلى الكِبر والصِّغر، فإن

السيئة في حرَم اللَّه وأشهُره الحُرُم ليست كالسيئة في غير ذلك.

* **قلت**: ولعل هذا مراد من قال بعدم المضاعفة، وهم الذين أخذوا بالعمومات.

قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[١].

وقال النبي ﷺ: «من هم بسيئة وعملها كتبت عليه سيئة واحدة»[٢].

* * *

(١) «الشورى» (آية: ٤٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الباب التاسع والعشرون
في بيان أن أهل مكة أهل اللَّه تعالى:

* لما استعمل رسول اللَّه ﷺ عتَّاب بن أسْيَد على مكة قال: «يا عتَّاب أتدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل اللَّه تعالى، فاستوصِ بهم خيرًا»[1] يقولها ثلاثًا.

وقال ابن أبي مُليْكة: كان أهل مكة فيما مضى يُلقَوْن، فيُقال: **يا أهل اللَّه**، وهذا من أهل اللَّه.

* وكان وَهب بن منبّه يروي أن اللَّه تعالى يقول: «من آمن أهل الحرم استوجب بذلك (٣٣/أ) أماني، ومن أخافهم فقد خفرني في ذمتي، ولكل مَلِكٍ حيازة مما حواليه، وبطن مكة حوزتي التي اخترت لنفسي. أنا اللَّه ذو بكة، أهلها: جيرتي وجيران بيتي، وعمَّارها وزوَّارها وفْدي وأضيافي وفي كنفي وأماني، ضامنون عليَّ وفي ذمتي وجواري».

* * *

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٢٥٤).

الباب الثلاثون
في ذكر حدود الحرم:

* **حدُّه من جهة المدينة**: ثلاثة أميال - كما قال الأزرقي - دون التنعيم عند بيوت نِفار، بنون مكسورة وفاء وألف وراء مهملة، وجزم به القاضي أبو يعلى في «**أحكامه**»، وأبو الخطاب، وابن الجوزي، والمجد، وابن حمدان، والرافعي، وقدَّمه في «**الفروع**»، وقال: عند بيوت السُّقيا، تبعًا «**للهداية**» - كما نقله عن ابن القاص، وقدمه في «**إعلام الساجد**».

وقيل: أربعة أميال - كما قال الفاكهي.

وقيل: خمسة أميال - على ماذكره الباجي.

تنبيه:

قال صاحب «**المطالع**» عن التنعيم: إنما سُميت بذلك؛ لأن جبلًا عن يمينها يقال له: «نعيم» وآخر عن شمالها[1] يقال له[2]: «ناعم»، والوادي: نعْمان.

* **ومن طريق اليمن**: سبعة أميال - بتقديم السين -، جزم به الأزرقي، وأبو الخطَّاب، وابن الجوزي، وابن حمدان، وصاحب «**الفروع**».

وقدم في «**إعلام الساجد**»: ستة أميال، قال في «**تحفة الكرام**»: وجدت

---

(١) في «ق» «شماله».

(٢) «يقال له» مكررة في «ق».

بخط المحب الطبري في «**القِرى**»: أن حدّ الحرم من جهة اليمن: ستة أميال، ولعلّ ذلك؛ سبق قلم، عند[١] أَضاة لِبْن في ثنيَّة لِبْن[٢]، وهذه الأضاة تعرف الآن بأضاة ابن عَقَشُر، **والأَضاة**: مُسْتنقع الماء، وهي بهمزة مفتوحة وضاد معجمة على وزن قناة، ولِبْ بكسر اللام وسكون الباء الموحَّدة: قاله الحازمي، وضبطها سليمان بن خليل: بفتح اللام والباء على ما وجده بعض الأعيان بخطه في مواضع من «**منسكه**».

* **ومن جهة العراق**: سبعة أميال - بتقديم السين -، قاله الأزرقي، وجزم به القاضي أبو يعلي في «**أحكامه**»، وأبو الخطَّاب، وابن الجوزي، والمجد، وصاحب «**الفروع**»، والرافعي، وقدمّه في «**الرعاية**»، و«**إعلام الساجد**».

وقيل: ثمانية أميال - على ما ذكر ابن أبي زيد المالكي في «**النوادر**» (٣٣/ب).

وقيل: تسعة أميال - حكاه ابن حمدان.

وقيل: عشرة أميال - على ما ذكر سليمان بن خليل.

وقيل: ستة أميال - على ما ذكر ابن خُردادبة على ثنيَّة خلّ بالمقْطَّع.

فأما «خل»، فبخاء معجمة مفتوحة، و«المُقطَّع» بضم الميم وفتح الطاء المشددة - على ما وُجِدَ بخط سليمان بن خليل فيهما.

ووُجِدَ بخط المحبّ الطبري في «**القِرى**»[٣] على الخاء من خلّ نقطة من

---

(١) «عند» مكررة في «ق».

(٢) «القرى» (٦٥١).

(٣) «القرى» (٦٥٣).

فوق وعلى اللَّام شدة وضبط المَقْطع بفتح الميم وإسكان القاف.

وفي «**تاريخ الأزرقي**»: على الخاء أيضًا من خل نقطة من فوقها.

وذكر النَّووي في «**الإيضاح**» و«**تهذيب الأسماء واللغات**»: حوض خل جبل بجيم وباء موحَّدة.

قال في «**تحفة الكرام**»: وذلك تصحيف، واللَّه أعلم.

وذكر الأزرقي: أن سبب تسميته بذلك؛ أنهم قطعوا منه أحجار الكعبة في زمن ابن الزبير، وقيل غير ذلك.

* **ومن جهة جُدة** - بضم الجيم - عشرة أميال، جزم به الأزرقي، والقاضي أبو يعلى في «**أحكامه**»، وأبو الخطَّاب، وابن الجوزي، والمجد، وابن حمدان، وصاحب «**الفروع**» والرافعي، وابن أبي زيد.

قال في «**تحفة الكرام**»: ونحو ثمانية عشر ميلاً - على ماذكر الباجي في مقدار ما بين مكة والحديبية - بتخفيف الياء الثانية على الأصوب فيها.

ومنتهاها حدُّ الحرم من جهة جُدة - كما ذكر ابن أبي زيد في «**النوادر**»:

قال الأزرقي: منتهى الحد في هذه الجهة منقطع الأعشاش: جمع عش، وقال القاضي في «**أحكامه**»: منقطع العشائر، وكذا قال في «**إعلام الساجد**».

* **ومن جهة الجعرانة** - بسكون العين وتخفيف الراء على الأصوب في ضبطها -: تسعة أميال - بتقديم التاء -: قاله الأزرقي، والقاضي أبو يَعْلَى، وأبو الخطَّاب، وابن الجوزي، والمجد، وابن حمدان، وصاحب «**الفروع**»، والرافعي.

وقيل: بريد: حكاه ابن خليل بصيغة التمريض في شِعْب آل عبد اللَّه بن خالد بن أسْيَد وهو لا يُعرف الآن.

* **ومن طريق الطائف على طريق عرفة من بطن نَمِرة**: أحد عشر ميلاً، قاله الأزرقي.

* **قال في «الفروع»**: **ومن (٣٤/أ) الطائف**: سبعة أميال عند طرف عرفة.

* **ومن بطن عُرَنة**: أحد عشر ميلاً، و«**الفروع**»: تابع ابن الجوزي، وابن الجوزي: تابع أبا الخطَّاب في نقله الذي نقله في «**الهداية**» عن ابن القاص.

وقيل: نحو ثمانية عشر ميلاً، ذكره الباجي.

وقيل: تسعة أميال - بتقديم التاء على السين -، ذكره ابن أبي زيد، وابن خليل، وغيرهما.

وقيل: سبعة - بتقديم السين على الباء -، كما ذكره الماوردي، وأبو إسحاق الشيرازي، والقاضي أبو يَعْلَى في «**أحكامه**»، والرافعي، والنووي، وابن حمدان، **لكنه قال**: **وعرفات والطائف وبطن نمرة**: سبعة أميال.

* **ومن بطن عرفة**: أحد عشر ميلا.

قال في «تحفة الكرام»: وفيما قالوه نظر قوي يقتضي عدم استقامة قولهم. وقد جزم جماعة، منهم الرافعي - كما تقدم؛ **على أنه من طريق المدينة**: على ثلاثة، **ومن العراق والطائف**: على سبعة، **ومن الجعرانة**: تسعة، **ومن جُدَّة**: عشرة.

وعليه بنى الشاعر قوله:

وَلِلْحَرَم التَّحْدِيدُ مِنْ أَرْض طَيْبَةٍ ... ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ إِذَا رُمْتَ إِتْقَانَهْ
وَسَبْعَةُ أَمْيَالٍ عِراقٌ وطائف ... وَجُدَّةُ عَشْرٌ ثُمَّ تِسْعُ جُعْرَانَهْ

زاد قاضي[١] القضاة كمال الدين أبو الفضل النويري، قاضي مكة وخطيبها:

وَمِنْ يمن سَبْعٌ بِتَقْدِيم سِينِهَا وَقَدْ كَمُلَتْ فَاشْكُرْ لِرَبِّكَ إِحْسَانَهْ
وَقَدْ زِيدَ في حَدِّ لَطائفِ أَرْبَعٌ وَلَمْ يَرْضَ أَهْلُ العِلْمِ وَالحِفْظِ إِتْقَانَهْ

قال كمال الدين الدَّميري، الأولى[٢] أن يقال:

وَمِنْ يَمَنِ سَبْعٌ بِتَقْدِيمِ سِينِهَا كَذَلِكَ سَيْلِ الحِلِّ لَمْ يَعْدُ بُنْيَانَهْ

* **لأجل فائدة**: وهي أَن سيل الحِلّ لايدخل الحَرَم. وهذا ذكره الأزرقي، عن عمر ابن الخطَّاب رضي اللَّه تعالى عنه لما؛ بعث أربعة من قريش يحددون أنْصَاب الحرم: وهم مخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع المخزومي، وحويطب ابن عبد العُزّى، وأزهر بن عبد عوف الزُّهري؛ أمَرَهم أن ينظروا إلى كل وادٍ يصبّ في الحرم، فنصبوا عليه وأعلموه وجعلوه حرمًا. وإلى كل وادٍ يصبّ في الحل فجعلوه حِلًّا[٣]، وسيأتي (٣٤/ب) لهذا مزيد إن شاء اللَّه تعالى في الثالث والسبعين من الخصائص.

* قال ابن سراقة في كتاب «**الأعداد والحَرم**»: في الأرض موضع واحد وهو مكة وحولها، ومساحة ذلك: ستة عشر ميلاً في مثلها، وذلك بريد واحد وثلث في بريد واحد وثلث على التقريب - انتهى.

* وقال أبو القاسم بن خردادبة الخراساني في كتابه «**المسالك والممالك**»: وطول الحرم حول مكة كما يدور: سبعة وثلاثون ميلاً، وهي التي تدور بأنصاب الحرم - انتهى.

---

(١) في «م» (القاضي».

(٢) في «ق» «والأولى».

(٣) «أخبار مكة» (٢/ ، ١٢٩١٣٠).

* **فإن قال قائل**: فما السبب في أن بعض حدود الحرم يقرب من مكة، وبعضها بعيد ولم يُجعل على قانون واحد ؟

فالجواب من أربعة أوجه[١]:

* **أحدها**:

ما روى سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال:

لما أُهبط آدم عليه السلام خرَّ ساجدًا يعتذر، فأرسل اللَّه تعالى إليه جبريل عليه السلام بعد أربعين سنة فقال: ارفع رأسك فقد قبلت توبتك، فقال: يا رب إنما أتلهَّف على ما فاتني من الطواف بعرشك مع ملائكتك، فأوحى اللَّه تعالى إليه: إني سأنزل لك بيتًا أجعله قِبلة، فأهبط اللَّه تعالى إليه البيت المعمور وكان ياقوتة حمراء يلتهب التهابًا، وله بابان: شرقي وغربي، قد نُظمت حيطانه بكواكب بيض من ياقوت الجنة. فلما استقر البيت في الأرض أضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، فنفرت لذلك الجنّ والشياطين وفزعوا فارتقوا في الجو ينظرون من أين ذلك النور فلما رأوه من مكة أقبلوا يريدون الاقتراب إليه، فأرسل اللَّه تعالى ملائكته؛ فقاموا حوالي الحرم في مكان الأعلام اليوم، فمن ثَمَّ ابتدأ اسم الحرم.

* **الثاني**:

ما رواه وَهب بن منبِّه:

أن آدم عليه السلام لما نزل إلى الأرض اشتد بكاؤه فوضع اللَّه تعالى له خيمة بمكة موضع البيت، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من الجنة وفيها ثلاثة قناديل فيها نور يلتهب من الجنة، فكان ضوء النور ينتهى إلى موضع الحرَم،

---

(١) انظر «القرى لقاصد أم القرى» (٦٥٢، ٦٥٣).

وحرس اللَّه تعالى تلك الخيمة بملائكة، فكانوا يقفون على (٣٥/أ) مواضع أنصاب الحرم يحرسونه ويذودون سكان الأرض من الجن. فلما قبض اللَّه تعالى آدم عليه السلام، رفعها إليه.

* **الثالث:**

أن إبراهيم الخليل عليه السلام لمَّا بنى البيت قال لإسماعيل عليه السلام: ابغني حجرًا أجعله للناس آية فذهب إسماعيل عليه السلام ورجع ولم يأتِه بشيء ووجد الركن عنده، فقال: من أين لك هذا ؟ قال: جاء به من لم يَكلني إلى حجرك ، جاء به جبريل عليه السلام، فوضعه إبراهيم عليه السلام في موضعه هذا، فأنار شرقًا وغربًا ويمينًا وشمالاً، فحرَّم اللَّه تعالى الحرم حيث انتهى نور الركن وإشراقه من كل جانب.

* **الرابع:**

أن آدم عليه السلام لما أُهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشياطين ، فاستعاذ باللَّه تعالى، فأرسل اللَّه تعالى ملائكة حفُّوا بمكة من كل جانب ووقفوا حواليها، فحرّم اللَّه تعالى الحرم من حيث كانت الملائكة وقفت.

قال عبد اللَّه بن عمر: والحرم حرام إلى السماء السابعة.

وقال عطاء: كانوا يرون أن العرش على الحرم[1].

* * *

(١) «القرى» (٦٥٣).

الباب الحادي والثلاثون
في ذكر نُصُب حدود الحرم وأول مَن نصَبَها:

* **وذكروا**؛ أن أول مَن نصَبَها: إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم إن قريشًا قلعوها في زمن النبي ﷺ، فاشتد ذلك على رسول اللَّه ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، اشتد عليك ؟! قال نعم. قال: أما إنهم سيعيدونها، فرأى رجال منهم في المنام قائلاً يقول: حَرَم أعزكم اللَّه به نزعتم أنصابه، الآن تخطَّفُكم العرب. فأصبحوا يتحدثون بذلك في مجالسهم، فأعادوها، فجاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قد أعادوها، قال: أفأصابوا يا جبريل، قال ما وضعوا منها نُصُبًا إلَّا بيد ملك[١].

* **وروى الزُّهري عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عُتبة قال:**

نَصَب إبراهيم عليه السلام أنصاب الحرم يُريه جبريل عليه السلام، ثم لم تحرَّك حتى كان قُصَيٌّ فجددها، ثم لم تحرّك حتى كان رسول اللَّه ﷺ فبعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجددها، ثم لم (٣٥/ب) تحرّك حتى كان عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه فبعث أربعة من قريش فجددوها: مخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع، وحويطب بن عبد العزَّى، وأزهر بن عوف. ثم جدَّدها معاوية، ثم أمر عبد الملك بتجديدها[٢].

* **قال في «تحفة الكرام»**: أول من نَصب ذلك الخليل عليه السلام بدلالة

---

(١) «أخبار مكة» الأزرقي (٢/ ١٢٨١٢٩،).

(٢) «أخبار مكة» للفاكهي (٢/ ٢٧٣).

جبريل عليه السلام، ثم قصَيّ بن كلاب. وقيل: نصبها إسماعيل عليه السلام بعد أبيه الخليل عليه السلام، وقيل: قُصَي، وقيل: إن عدنان بن إدّ أول من وَضع أنصاب الحرم حين خاف أن يُدرس الحرم - ذكره الزُّبير بن بكّار، ونَصبها النبي ﷺ عام الفتح، ثم عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه سنة سبع عشرة، ثم عثمان بن عفان رضي اللّه عنه سنة ست وعشرين، ثم معاوية، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي. ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العَلَمَيْن الكبيرين اللذين بالتنعيم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة واسمه عليها مكتوب، ثم أمر المظفَّر صاحب إربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة سنة عشرة وستمائة، ثم الملك المظفَّر صاحب اليمن سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

* **وقال الأزرقي في أنصاب الحرم**: على رأس الثنِيَّة ما كان من وجهها من هذا الشقّ فهو حرَم وما كان في ظهرها فهو حِلّ.

* * *

الباب الثاني والثلاثون
في ذكر تعظيم حُرمة الحرَم:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[١].

لفْظ هذه الآية: لفظ الخبر، ومعناها: الأمر، **والتقدير**: فمن دخله فأمِّنوه، وهو لفْظ عام فيمن جنى قبل دخوله أو بعده.

إلَّا أن الإجماع انعقد؛ على أن مَن جنى فيه لا يؤمَّن؛ لأنه هتك حرمة الحرَم وردّ الأمان، فبقى حكم الآية فيمن جنى خارجًا منه ثم لجأ إليه.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك:

فقال أحمد في رواية المروزيِّ: إذا قتل (٣٦/أ) أو قطع يدًا أو أتى حدًّا في غير الحرَم ثم دخله لم يُقم عليه الحد ولا يُقتصُّ منه، **ولكن**: لا يبايع ولا يشارى ولا يواكل حتى يخرج.

وقال في رواية حنبل: إذا قتل ثم لجأ لم يُقتل، وإن كانت الجناية فيما دون النفس فإنه يُقام عليه الحد، وبه قال أبو حنيفة.

وقال مالك والشافعي: يقام عليه الحد في النفس وفيما دون النفس، وفي الآية دليل على صحة مذهبنا.

* **وقد ألهم اللَّه تعالى الحيوان البهيم تعظيم الحرم**؛ فإن الظبي يجتمع مع الكلب في الحرَم، فإذا خرجا عنه تنافرا، وإن الطير لا تعلو على البيت إلا أن يستشفي مريضها به.

---

(١) «آل عمران» (آية: ٩٧).

الباب الثالث والثلاثون
في ذرْع المسجد الحرام وعدد اسطواناته:

* **وقال أبو الوليد:**

ذرْع المسجد الحرام مكسَّرًا: مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع.

وذرع المسجد طولاً من باب بني جُمح إلى باب بني هاشم الذي عنده العلَم الأخضر مقابل دار العباس بن عبد المطلب: أربعمائة ذراع وأربعة أذرع مع جدرية يمر في بطن الحِجر لاصقًا بجدر الكعبة.

وعرضه من باب دار الندوة إلى الجدار الذي يلي الوادي عند باب الصفا لاصقًا بوجه الكعبة: ثلاثمائة ذراع وأربع أذرع.

وذرع عرض المسجد الحرام من المنارة التي عند المسعى، إلى المنارة التي عند باب بني شيبة الكبير: مائتا ذراع.

وذرع عرض المسجد الحرام من منارة باب أجياد إلى منارة بني سهم: مائتا ذراع وثمان وسبعون ذراعًا[1].

* **وعدد اسطوانات المسجد الحرام** من شقه الشرقي: مائة وثلاث اسطوانات، ومن شقه الغربي: مائة اسطوانة وخمس اسطوانات، ومن شقه الشامي: مائة وخمس وثلاثون اسطوانة، ومن شقه اليماني: مائة واحد وأربعون اسطوانة، **فجميع ما فيه من الاسطوانات**: أربعمائة اسطوانة وأربع

---

(١) «أخبار مكة» (٢/ ٨١، ٨٢).

وثمانون اسطوانة.

طول كل اسطوانة: عشر أذرع، **وتدويرها**: ثلاث أذرع، منها على الأبواب: عشرون اسطوانة، فعلى الأبواب التي تلي المسعى: ست، وعلى الأبواب التي على الوادي والصفا: عشر، وعلى (٣٦/ ب) الأبواب التي تلي باب بني جمح: أربع وذرع ما بين كل اسطوانتين من أساطينه: ست أذرع وثلاث عشرة أصبعًا.

وذكر في «تحفة الكرام»: أن في الجوانب الأربع من المسجد الحرام غير الزيادتين: أربعمائة اسطوانة وتسعة وستين اسطوانة، وعلى أبواب المسجد من داخله وخارجه: تسعة وعشرون اسطوانة، فيصير جملة الأساطين بجوانب المسجد غير الزيادتين والتي على أبوابه: أربعمائة اسطوانة وستًّا وتسعين اسطوانة - بتقديم التاء على السين - **وذلك**؛ يزيد على ما ذكره الأزرقي عشر أساطين [1].

* * *

(١) «أخبار مكة» (٢/ ٨٣).

الباب الرابع والثلاثون
في عدد الطاقات[١] به:

* **قال أبو الوليد** : وعلى الأساطين: أربعمائة طاقة وثمان وتسعون طاقة :

منها في الظلال التي تلي دار الندوة: مائة واثنتان وأربعون طاقة.

ومنها في الظلال التي تلي الوادي: مائة وخمس وأربعون طاقة.

ومنها في الظلال التي تلي المسعى: تسع وتسعون طاقة.

ومنها في الظلال التي تلي شقّ بني جُمح: مائة واثنتا عشرة طاقة.

منها في الطبقات التي تلي بطن المسجد الحرام: مائة وإحدى وخمسون من ذلك مما يلي دار الندوة: ست وأربعون، ومما يلي بني جمح: تسع وعشرون، ومما يلي الوادي: خمس وأربعون، ومما يلي المسعى: إحدى وثلاثون[٢].

* * *

(١) الطاقات: جمع طاق: وهو ما عقد من الأبنية «مختار الصحاح».

(٢) «أخبار مكة» (٢/ ٨٤).

الباب الخامس والثلاثون
في صفة أبواب المسجد وعددها وذرْعها:

* **قال أبو الوليد**: وفي المسجد الحرام: ثلاثة وعشرون بابًا، فيها ثلاث وأربعون طاقًا:

منها في الشق الذي يلي المسعى وهو الشرقي:

خمسة أبواب، وهي إحدى عشرة طاقة: من ذلك:

الباب الأول: وهو الباب الكبير الذي يُقال له باب بني شيبة وهو باب بني عبد شمس بن عبد مناف وبهم كان يعرف في الجاهلية والإسلام عند أهل مكة، فيه اسطوانتان (٣٧/أ) وعليه ثلاث طاقات. والطاقات طولها: عشر أذرع، وما بين جدري الباب: أربع وعشرون ذراعًا.

والباب الثاني: طاق طوله: عشر أذرع، وعرضه: سبع أذرع.

والباب الثالث: طاق واحد طوله: عشر أذرع، وعرضه: سبع أذرع، وهو باب النبي ﷺ؛ كان يخرج منه ويدخل فيه من منزله الذي في زقاق العطارين، يقال له: مسجد خديجة. يُصعد إليه من المسعى بخمس درجات.

والباب الرابع: فيه اسطوانتان وعليه ثلاث طاقات، طول كل طاقة: ثلاث عشرة ذراعًا، وما بين جدري الباب: إحدى وعشرون ذراعًا، ويُرتقى إلى الباب: بسبع درجات، وهو باب العباس، وعنده علَم المسعى من خارج.

والباب الخامس: وهو باب بني هاشم، وهو مستقبل الوادي، وسعة ما بين جدري الباب: إحدى وعشرون ذراعًا، وفيه اسطوانتان عليهما ثلاث طاقات طول كل طاقة ثلاث عشرة ذراعًا.

وفي عتبة الباب: سبع درجات إلى بطن الوادي.

وفي الشقّ الذي يلي الوادي وهو شقّ المسجد اليماني: سبعة أبواب، وسبع عشرة طاقًا منها:

الباب الأول: فيه اسطوانة، عليها طاقان طول كل طاق في السماء: ثلاث عشرة ذراعًا ونصف، وما بين جدرَيْ الباب: أربع عشرة ذراعًا وثماني عشرة إصبعًا، وفي العتبة: اثنتا عشرة درجة إلى بطن الوادي، وهو الباب الأعلى، يقال له: باب بني عايد.

والباب الثاني: فيه اسطوانة عليها طاقان، طول كل طاق: ثلاث عشرة ذراعًا ونصف. وما بين جدري الباب: أربع عشرة ذراعًا ونصف. وفي العتبة: اثنتا عشرة درجة إلى باطن الوادي وهو باب بني سفيان بن عبد الأسد.

والباب الثالث: وهو باب الصفافيه أربع أساطين عليها خمس طاقات طول كل طاق في السماء: ثلاث عشرة ذراعًا ونصف، الطاقة الأوسط: أربع عشرة ذراعًا. وما بين جدري الباب: ست (٣٧/ب) وثلاثون ذراعًا، وفي عتبة الباب: اثنتا عشرة درجة.

والباب الرابع: فيه اسطوانة عليها طاقان طول كل طاق منها: ثلاث عشرة ذراعًا ونصف، وما بين جدري الباب: خمس عشرة ذراعًا: وفي عتبة الباب: اثنتا عشرة درجة، وفي بطن الوادي، ويُقال لهذا الباب باب بني مخزوم.

والباب الخامس: فيه اسطوانة عليها طاقان، طول كل طاق: ثلاث عشرة ذراعًا ونصف، وما بين جدري الباب: خمس عشرة ذراعًا، وفي عتبة الباب: اثنتا عشرة درجة. وهذا الباب من أبواب بني مخزوم.

والباب السادس[1]: كذلك ويقال له باب بني تميم.

والباب السابع: فيه اسطوانة عليها طاقان، طول كل طاق: ثلاث عشرة ذراعًا واثنتا عشرة أصبعًا، وما بين جدري الباب: أربع عشرة ذراعًا وثماني عشرة أصبعًا، وفي عتبة الباب: اثنتي عشرة درجة، وهذا الباب كان يقال له باب أُمِّ هانئ.

وفي الشق الذي يلي بني جمح: ستة أبواب وعشر طاقات.

الباب الأول: يلي المنارة التي تلي أجياد الكبير فيه اسطوانة عليها طاقان، طول كل طاق: ثلاث عشرة ذراعًا وما بين جدري الباب: خمسة عشر ذراعًا، وفي عتبة الباب: ثماني درجات، ويُقال له باب بني حكيم بن حزام وبَنِي الزبير بِن العوَّام.

والباب الثاني: فيه اسطوانتان عليها: ثلاث طاقات، طول كل طاق في السماء: ثلاث عشرة ذراعًا، وما بين جدري الباب: أحد وعشرون ذراعًا، وفي عتبة الباب: سبع درجات، وهذا الباب اليوم يقال له باب الحنَّاطين.

والباب الثالث: فيه اسطوانة عليها طاقان، طول كل طاق في السماء: عشر أذرع، وما بين جدرَي الباب: خمس عشرة ذراعًا، وفي عتبة الباب: سبع درجات، وهو باب بني جُمح.

والباب الرابع: طاق طوله في السماء: عشر أذرع، وعرضه: خمس

---

(١) «الباب السادس» سقط من «م، ق» ويوجد في «ع».

أذرع، وهو باب أبي البختري الأسدي كان يستقبل داره.

قال أبو الحسن: قد كان هذا على ما ذكره الأزرقي حتى كانت أيام جعفر المقتدر باللّه أمير المؤمنين، وكان يتولى الحكم كله محمد بن موسى فغير هذين[١] البابين؛ المعروف أحدهما: بالحنّاطين[٢] والآخر: ببني جُمح، وجعل مسجد وصله بالمسجد الكبير؛ فاتسع الناس به وصلّوا فيه[٣]؛ وذلك: في سنة ست، وسنة سبع وثلاثمائة.

والباب الخامس: طاق طوله في السماء: عشر أذرع، وعرضه: أربع أذرع واثنتا عشرة أصبعًا.

والباب السادس: طاق طوله في السماء: عشر أذرع، وعرضه: سبع أذرع، وفي العتبة: عشر درجات، وهو باب بني سهم.

وفي الشق الذي يلي دار الندوة وهو الشق الشامي من الأبواب ستة أبواب:

الباب الأول: يلي المنارة التي تلي بني سهم، طاق طوله في السماء: عشر أذرع وعرضه: أربعة أذرع، وفي العتبة: ست درجات، وهو باب عمرو ابن العاص.

والباب الثاني؛ قد سدّ.

والباب الثالث: باب دار العجَلة.

---

(١) في جميع النسخ «فغيرها ذين» وفي «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٩٢). «فغير هذين» وكذا بهامش نسخة «ق» لعله «فغير هذين» وكذا في «ع».

(٢) في «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٩٢) «بالخياطين».

(٣) «الأزرقي» (٢/ ٩٢).

والباب الرابع: باب قعيقعان، طاق طوله في السماء: عشر أذرع، وعرضه: تسع أذرع وست أصابع، ويُنزل منه إلى بطن المسجد بست درجات، ويقال: ثمان ويقال له: باب حجير بن أبي أهاب.

الباب الخامس: هو باب دار الندوة.

الباب السادس: طاق واحد طوله في السماء: تسع أذرع، وعرضه: خمس أذرع، وفيه عتبة هذا الباب ثماني درجات في بطن المسجد. وهو باب دار شيبة بن عثمان.

* **وذكر في «تحفة الكرام»**:

أن أبواب المسجد الحرام: تسعة عشر بابًا - بتقديم التاء على السين - يُفتح على ثمانية وثلاثين طاقًا (٣٨/ب).

وذكر أن في الجانب الشرقي: أربعة أبواب أنقص منه الأزرقي بباب، فذكر باب بني شيبة - كما ذكره، وذكر باب النبي ﷺ، وعرَّفه: بباب الجنائز، وأنه طاقان، والأزرقي جعله طاقًا (٣٨/ب).

وذكر ابن جبير في رحلته أنه طاقان من سنة تسع وسبعين وخمسمائة، ولم يذكر الباب الذي بين باب بني شيبة وبين باب النبي ﷺ. وعرَّف باب بني هاشم: بباب علي رضي اللَّه عنه.

ووافق الأزرقي في الشق الجنوبي وهو شق اليمن؛ إلا أنه عرَّف الأول: بباب بازان وهي عين لمكة قربه.

والثاني: بباب البغلة - بالباء الموحَّدة والغين المعجمة.

والرابع[1]: بباب أجياد الصغير.

---

(١) الثالث سقط من جميع النسخ.

والخامس: بباب المجاهدية، مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن، ويقال له: باب الرحمة.

والسادس: باب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة.

والسابع: بباب الملاعبة.

وذكر في الشق الغربي؛ وهو الذي يلي بني جُمح: ثلاثة أبواب، فنقص عما قال الأزرقي ثلاثة، وذكر الأول وعرَّفه: بباب عزوُرة المصحَّف عن حزوَرة؛ والغالب عليه باب الحزامية؛ لأنه يلي الحزامية.

الثاني: طاق واحد، ويقال له باب إبراهيم. وكان إبراهيم هذا خياطًا. وذُكر عن ابن عساكر وغيره أنهم نسبوه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو بعيد عن الصواب.

الباب الثالث: طاق واحد، ويعرف: بباب العمرة؛ لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه، وسماه الأزرقي: باب بني سهم.

وفي الجانب الشامي خمسة أبواب:

الأول: يعرف بباب السُّدَّة، وهو طاق.

والباب الثاني: طاق، وهو الثالث في كلام الأزرقي.

وذكر الرابع؛ الذي هو خامس في كلام الأزرقي: طاقين.

قلت: التحرير في تسميتها الآن: أن الأول: من عند باب العمرة سمى باب السُّدَّة.

والثاني: باب العجلة.

والثالث: باب الندوة وباب الفهود.

والرابع: باب السويقة وباب الزيادة، وهو باب قعيقعان، وهو وحده طاقان في هذا الشق. والثاني كل واحد طاق.

والخامس (٣٩/أ): باب الدربية هذا من الشق الشامي، والباقي؛ موافق لما في «**تحفة الكرام**». والله أعلم.

* * *

الباب السادس والثلاثون
في ذرع جدرات المسجد وعدد شرفاته:

* قال أبو الوليد:

ذرع الجدر الذي يلي المسعى وهو الشرقي: ثماني عشرة ذراعًا في السماء.

وطول الجدر الذي يلي الوادي وهو الشق اليماني في السماء: اثنان وعشرون ذراعًا.

وطول الجدر الذي يلي بني جمح وهو الغربي: اثنان وعشرون ذراعًا ونصف.

وطول الجدر الذي يلي دار الندوة وهو الشق الشامي: تسع عشرة ذراعًا ونصف.

وعدد شرفاته التي على جدرات المسجد من خارجه: مائتا شرافة واثنان وسبعون شرافة ونصف، منها في الجدار الذي يلي المسعى ثلاث وسبعون شرافة، وفي الذي يلي الوادي: مائة وتسع عشرة، وفي الذي يلي بني جمح: خمس وسبعون. وفي الذي يلي دار الندوة: خمس شرافات ونصف.

* * *

الباب السابع والثلاثون
في حكم بيع دور مكة وإجارتها:

* **اختلف العلماء في ذلك:**

فمذهب[١] أحمد المرجح عند أصحابه؛ أنها فتحت عنوة وفاقًا لأبي حنيفة ومالك، فيحرم بيعها وإجارتها وفاقًا لأبي حنيفة ومالك كبقاع المناسك، **وجوزهما** الشيخ موفق الدين، **واختار** الشيخ تقي الدين بن تيمية جواز البيع فقط وتابعه صاحب «**الهدي**».

وعن أحمد: يجوز الشرا لحاجة وإن سكن فيها بأجرة، فعنه؛ لا يأثم بدفعها. جزم به الشيخ. وعنه إنكار عدمه جزم به القاضي لالتزامه.

* **وقال أبو العباس**: هي ساقطة عنه يحرم بذلها وأخذها ومَنْ عنده فضل نُزِّل فيه لوجوب بذله وإلا حُرم، نص عليه: نقل حنبل وغيره سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي.

وحكى أبو جعفر الأبهري عن مالك: أنه كره بيع دور مكة وكِراها، فإن بيعت أو أكريت[٢] لم ينفسخ.

وحكى اللخمي عن مالك منع ذلك.

---

(١) جميع النسخ «فذهب» وفي «ع» «فمذهب».

(٢) في «م،ق»: «وأكريت»، وفي «س،ع»: «أو أكريت».

* **ويُتحصل في (٣٩/ب) كرائها في مذهب مالك أربع روايات:**

الجواز؛ وهو الظاهر من مذهب ابن القاسم في «**المدوَّنة**».

والمنع؛ وهو الظاهر من قول مالك في سماع ابن القاسم في «**كتاب الحج**».

والكراهية مطلقًا، والكراهية في أيام الموسم توسعة على الحاج.

ونقل ابن الحاج في «**منسكه**» عن مالك: أنه يرى بيع رباع مكة وكرا منازلها.

* **وقال السهيلي المالكي**: إن أرضها؛ يعني مكة ودورها، لأهلها ولكن أوجب اللَّه تعالى عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها وأن لا يأخذوا منهم كرا في مساكنها.

فهذا حكمها؛ فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة أو صلحًا - انتهى كلام السهيلي.

* **وكره أبو حنيفة** بيع دور مكة وإجارتها، وأجاز ذلك صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن، **وعليه الفتوى**؛ على ما قال الصدر الشهيد.

* **ومذهب الشافعي**: جواز بيع دور مكة وإجارتها.

* **وسبب الخلاف في ذلك عند غير المالكية: الخلاف في مكة**: هل فتحت عنوة أو صلحًا.

* **وسبب الخلاف عند المالكية** في ذلك مع اتفاقهم على أنها فتحت عنوة - على ما ذكر ابن رشد في بيانه اختلافهم في مكة: هل منّ بها على أهلها فلم تُقسم كمالهم لما عَظَّم اللَّه تعالى من حرمتها، **وعليه**؛ يُبنى جواز بيع دور مكة وإجارتها. أو هل أُقرَّت للمسلمين، وعليه يبنى المنع.

* وذكر المازري[١] في شرح مسلم أن القول بأن مكة فتحت عنوة، وهو[٢] قول جماهير العلماء وأهل السِّيَر.

* * *

(١) في «م، س» «المازني» والصواب كما في «ق، ع».
(٢) كذا في «م»: «وهو»، وفي «ق، س»: «وهو».

الباب الثامن والثلاثون
في ذكر مِنى:

* «**مِنَى**» بكسر الميم وفتح النون مخفف بوزن ريا.

قال البكري: يذكَّر ويؤنّث، فمن أنّث لم يجره يعني لم يصرفه.

وقال الفراء: الأغلب عليه التذكير.

وقال الحازمي في «**أسماء الأماكن**»: مِنًى بكسر الميم وتشديد النون، الصقع قرب مكة.

ولم نر هذا لغيره؛ والصواب: الأول.

وبينه وبين مكة (٤٠/أ): ثلاثة أميال.

وسمي مِنَى؛ لما يُمنَى فيه من دماء الذبائح[١]، أي: يُراق.

سئل ابن عباس: لم سميت مِنَى ؟ فقال؛ لما يقع فيها من دماء الذبائح[٢]، وشعور الناس؛ تقربًا إلى اللّه تعالى وتمنيًا للأمان من عذابه.

وروى الكلبي عن ابن عباس، قال: إنما سميت منى؛ لأن جبريل عليه السلام حين أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له: تمنَّ ؟ فقال: أتمنى الجنة؛ فسميت: مِنَى؛ لأمنية آدم عليه السلام، ذكره الأزرقي.

---

(١) في «م»: «الذابيح».

(٢) في «م»: «الدبابيح». وانظر «مثير العزم» (١/ ٢٨٠).

* **وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة** رضي اللَّه تعالى عنها قالت: «قلت يا رسول اللَّه ألا يبنى[١] لك بِمنَى بيتًا أو بناء يظلك من الشمس، فقال لا إنما هو مُناخ مَنْ سَبَق»[٢].

* **قال الإمام أحمد في رواية أبي طالب:**

لم يكن لهم أن يتخذوا بمنى شيئًا، فإذا اتخذه فلا يدخله أحد إلا بإذنه. قد كان سفيانًا اتخذ بها حائطًا وبنى فيه بيتين وربما قال لأصحاب الحديث يبقوها[٣] فلا يدخل رجل مَضْرَب رجل إلا بإذنه.

قال القاضي: وظاهر هذا، أنه قد أجاز البناء بمنى[٤] على وجه ينفرد به.

وقال في رواية ابن منصور: أما البناء بِمِنَى فإني أكرهه.

قال القاضي: فظاهر هذا؛ المنع.

فهذا كله؛ إذا قلنا إنها فُتحت عنوة، فأما إذا قلنا إنها فتحت صلحًا: فإنه يجوز بيعها وإجارتها.

* **وحدّ منى**: من جمرة العقبة إلى وادي محسّر، قاله: ابن الجوزي في «**مثير العزم الساكن**» والأزرقي. زاد الأزرقي عن عطاء أنه قال: فلا أحب أن ينزل أحد إلا فيما بين العقبة إلى محسر.

فأخذ النَّووي من كلام عطاء هذا: أن الجمرة ووادي محسر ليسا من مِنى. حكاه في «**شرح المهذب**» عن الأزرقي وأصحاب الشافعي، وكذا جزم

---

(١) في «المسند» وفي «الترمذي»: «نبني لك».

(٢) «المسند» (٦/ ١٨٧٢٠٦)، و«الترمذي» (٨٨٢) وقال هذا حديث حسن.

(٣) في «ق»: «بينوها».

(٤) «بمنى» سقطت من «ق».

الشيخ موفق الدين في «**المغني**» أنهما ليسا من مِنى. وذكره عن الشافعي وعطاء، وتابعه الشيخ شمس الدين في «**شرح المُقْنع**».

وقال المحب الطبري: العقبة من مِنى، ولم ينقل عن أحد أن الجمرة ليست من مِنى.

وقال عمر رضي اللَّه عنه: لا يبيتنّ أحد من (٤٠/ب) الحجاج وراء العقبة حتى يكونوا بمنى. وكذا قال ابن عمر. ورُوي عن ابن عباس.

فظاهر كلامهم: أن العقبة من منى؛ إذ لم يقولوا: لا يبيتن أحد في العقبة، وإنما قالوا: وراء العقبة.

وقال الجوهري عن محسر: هو موضع بِمنَى.

وقال البكري: هو واد بجمع وما أقبل من الجبال على مِنَى فهو منها وما أدبر فليس منها.

* **قال الأزرقي**: وذرع مِنَى من جمرة العقبة إلى وادي محسر: سبعة آلاف ومائتا ذراع، وعرض منى من مؤخر المسجد الذي يلي الجبل إلى الجبل بِحِذاه: ألف ذراع.

قال الزركشي في «**شرح الخرقي**» لما ذكر محسر: قيل: وادٍ بين المزدلفة ومنى. وقيل: موضع بِمنَى، وقيل: ما صبَّ من محسر في المزدلفة فهو منها وما صب منه في مِنى فهو من مِنى.

قال المنذري: وصوَّبه بعضهم، وذكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية في «**شرح العُمْدة**» في موضع: أن محسرًا من مِنَى. وذكر في موضع: تردّدًا.

* * *

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر مسجد الخيْف:

* **قال ابن فارس اللغوي:**

«**الخيْف**»: ما ارتفع من الوادي وانحدر من الجبل، وأشهر الأخياف: خَيْف مِنَى، ومسجده: مسجد الخيْف، وهو خَيْف بني كنانة الذي ورد في الحديث[(١)].

وذكر الطبراني عن ابن عباس قال:

قال رسول اللَّه ﷺ: «صلى في مسجد الخيْف سبعون نبيًّا منهم موسى عليه السلام كأني أنظر إليه وعليه عباتان قطوانيتان على بعير»[(٢)].

* **وذكر الأزرقي عن ابن عباس**، قال: «صلى في مسجد الخيْف سبعون نبيًّا كلهم مخطومون بالليف»[(٣)]، يعني: رواحلهم.

* **وذكر الحافظ شرف الدين الدمياطي:**

وادي السَّرْوِ بمِنى على أربعة أميال من مكة: فيه سروة تحتها سبعون نبيًّا.

* **وذكر ابن الجوزي**، عن وهب بن منبه: أنه كان يلتقي هو والحسن

---

(١) وهو حديث: نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر. . رواه البخاري (١٥٨٩، ١٥٩٠).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٣٥٨/ ١١) (١٢٢٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «أخبار مكة» (٢/ ١٧٤).

البصري في المواسم كل عام في مسجد الخيْف إذا هدأت الرجال ونامت العين ومعهما (٤١/أ) جلّاس إما يتحدثون إليهما. فبينما هما ذات ليلة يتحدثان مع جلسائهما إذ أقبل طائر له حفيف حتى وقع إلى جانب وهب من خلفه فسلم فرد وهب عليه السلام وعلم وهب أنه من الجن، فقال وهب: مَنِ الرجل؟ فقال له: من مسلميهم، قال: فما حاجتك؟ قال: وتنكر أن أجالسكم ونحمل عنكم، إن لكم فينا رواة كثيرة وإنا لنحاضركم في أشياء من صلاة وحج وعمرة، ونحمل عنكم العلم، فقال وهب: فأي رواة الجن عندكم أفضل، فقال: رواة هذا الشيخ وأشار إلى الحسن.

* * *

الباب الأربعون
في ذكر آيات عظام بِمنى:

* **الأولى**: أن الجمار على كثرته في كل سنة يُمتحق ويُرى على قدر واحد.

وقد ورد: أن ما تُقبِّل رُفع، وقد جاء ذلك من طرق كثيرة، منها مارواه ابن الجوزي في «**مثير العزم الساكن**» بسنده إلى سعيد بن جبير أنه قال: الحصى قربان؛ فما قُبِل منه: رُفع، وما لم يقبل: بقي[(١)].

وذكر الأزرقي، عن ابن خثيم: أنه سأل أبا الطفيل عن هذه الجمار ترمى في الجاهلية والإسلام كيف لا يكون هضابًا تسدّ الطريق ؟ قال سألت عنها ابن عباس، فقال إن اللّه تعالى وكّل بها ملكًا، فما تُقبِّل منها: رُفع، وما لم يتقبل منها: تُرك[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري قال: ما تُقبل من الحصى رفع، يعني: حصى الجمار[(٣)].

وقال ابن عمر: واللّه ما قُبِل من امرئ حجه إلا رفع حصاه.

قال المحب الطبري في «**شرح التنبيه**»، وقد أخبرني شيخنا أبو النعمان

---

(١) (١/ ٢٨٧) وانظر «أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢٩٣).

(٢) «أخبار مكة» (٢/ ١٧٦) انظر «أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢٩٢).

(٣) «أخبار مكة» الأزرقي (٢/ ١٧٧)- والفاكهي (٤/ ٢٩٣).

بشير ابن أبي بكر حامد التبريزي شيخ الحرم الشريف ومفتيه، أنه شاهد ارتفاع الحجر عيانًا.

قال القاضي مجد الدين الشيرازي: وقد خمنت مرة؛ فاقتضى قياس العقل والحساب وعدد السنين والأعوام التي حُج فيها البيت ورُميت الجمار أن يكون التراكم عند كل جمرة من الحصى ما يواري مساحة خمسين ذراعًا في مثلها في وجه الأرض ومرتفع العلو ارتفاع جبل ثبير، ولكن (٤١/ب) للّه تعالى فيها سرّ كريم من أسراره الخفيات لا إله سواه.

* **الثانية: اللحوم بمنى في أيامها**؛ تنشر على الجدار وعلى صخرات الجبال وعلى أسطحة السوق وهي محروسة بحراسة اللّه تعالى لها من تخطف الطير لها، **ومعلوم**: أن الحِدَأة - إذا رأت شيئًا أحمر بيد إنسان أو على رأسه: انقضت عليه حتى تخطفه، وهي تحوم حول تلك اللحوم لا تستطيع أن تأخذ منها شيئًا.

* **الثالث: الذباب لا يقع على الطعام**؛ بل يأكل العسل ونحوه مما يجمع الذباب ويتهافت على الوقوع فيه، بل لا يحوم عليه في الغالب مع كثرة العفونات لكثرة الذباب من الدماء والأنتان الملقاة في الطرقات. فإذا انقضت أيام الضيافة والكرامة تهافت الذباب على كل طعام حتى لا يطيب للطاعم طعام.

وتلك آيات ظاهرة، ودلالات باهرة على قدرة من يحيى العظام وهي ناخرة.

* **الرابعة: اتساعها في أيام نزول الحاج بها**: عن أبي الدرداء، قال: قلنا يا رسول اللّه إن أمر مِنى لعجب، هي ضيقة، فإذا نزلها الحاج اتسعت، فقال رسول اللّه ﷺ: إنما مثل منى كالرحم إذا حملت وسعها اللّه تعالى[1].

---

(١) «أخبار مكة» للفاكهي» (٤/ ٢٧٨)- الأزرقي (٢/ ١٧٩).

* **الخامسة: قلة البعوض بها أيام مِنى**؛ على ما ذكر أبو سعد الملاني في «**الوفا شرف المصطفى**»، فإنه قال: كنت ليلاً بمنى في غير أيام الموسم، وكنت ساهرًا أكثر الليل أتأذى من البعوض، فلما كان من الغد؛ سألت بعض أهل الحرم عن البعوض، فقال: جميع السنة يكون كثيرًا إلا أيام منى فإنه يقلُّ.

* * *

الباب الحادي والأربعون
في ذكر المزدلفة:

* **لها أربعة أسماء:**

الأول: «المزدلفة»؛ لأن الناس يزدلفون فيها، أي: يجتمعون، أو لأنهم يدفَعون منها زلفة أي جميعًا، أو لمجيء الناس إليها في زُلَفٍ من الليل، أي: ساعات.

الثاني: «قزح».

الثالث: «جمع»؛ لأن الصلاتين تجمع بها. كان الأصل موضع جمعٍ أو ذات جمعٍ ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقيل؛ لاجتماعِ (٤٢/أ) النَّاس بها، وقيل؛ لاجتماع آدم وحواء فيها.

الرابع: «المشعر الحرام»؛ لأن عرفة هي المشعر الحلال.

* **تنبيه:**

«قُزح»: بقاف مضمومة وزاي مفتوحة ثم حاء مهملة: موضع في وسط المزدلفة، وكأنها سميت به تسمية الكل باسم البعض. وقد بني عليه بناء، ويسمى: المشعر الحرام، قاله جماعة.

وأما ابن عمر فقال: المشعر الحرام: المزدلفة كلها، وقاله كثير من أهل التفسير.

وحمل المحب الطبري قول ابن عمر ومن وافقه على المجاز، والأفصح

في المشعر: فتح الميم وكسرها لغة حكاه الجوهري.

وحدُّ المزدلفة: من مأزمي عرفة إلى قرب محسر. وما على يمين ذلك وشماله من الشعاب، قاله في «**المغني**» و«**الشرح**» و«**شرح المحرَّر**».

* * *

الباب الثاني والأربعون
في الطريق من المزدلفة إلى عرفة:

* **لها طريقان:**

أحدهما: طريق المأزمَيْن.

والأخرى: طريق ضبّ، وهذه الثانية: طريق مختصرة من المزدلفة إلى عرفة، وهي من أصل المأزمين عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة. وقد ذكروا: أن النبي ﷺ سلكها حين غدا إلى عرفة، وقال ذلك بعض المكّيين، وقاله القاضي أبو يَعْلى وجماعة من علمائنا.

وقال عطاء: طريق ضب: هي طريق موسى بن عمران عليه السلام؛ ولأجل هذا: قال علماؤنا: إذا دفع من عرفات سار على طريق المأزمين احترازًا من طريق ضب؛ لأن النبي ﷺ سار إلى عرفة على طريق ضب، ولما رجع إلى المزدلفة سار على طريق المأزمين.

وهذا على عادته ﷺ؛ في أنه إذا ذهب إلى عبادة: ذهب في طريق، وإذا رجع: رجع في أخرى.

* * *

الباب الثالث والأربعون
في ذكر عرَفة وحدودها:

* **اختلفوا لِمَ سمِّيَ عرفة؛ على عشرة أقوال:**

أحدها: وهو قول الضَّحاك، أن آدم عليه السلام أُهبط بالهند وحواء بجُدَّة، فتعارفا عند أرض عرفة؛ فسميت لذلك.

الثاني: وهو قول عطاء؛ لأن جبريل (٤٢/ب) كان يُري إبراهيم عليه السلام المناسك، فيقول: **عرفْتُ**؛ فسميت لذلك. رواه الإمام أحمد عنه في «**منسكه**»، إلا أنه قال: فسميت[1] **عرفات**.

الثالث: أن الناس **يعترفون** فيها بذنوبهم.

الرابع: وهو قول السدي: لما أذَّن إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج، فأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه، أمَره اللَّه تعالى إلى **عرفات**، ونعتها، فخرج، فلما بلغ الشجرة، استقبل الشيطان يردُّه، فرماه بسبع حصيَّات يكبِّر مع كل حصاة، فطار، فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبَّر، فطار، فوقع على الجمرة الثالثة، فرماه وكبّر، فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه، انطلق، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى أتى ذا المجاز، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فسمِّي ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات، فعرفها بالنعت، فسمي **الوقت عرَفة. والموضع عرفات.**

---

(١) في «ق»: «سميت».

الخامس: إنه سُمِّي بذلك من **العَرْف**، وهو: **الطِّيب**.

السادس: وهو قول ابن عباس: أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التَرْوِيَة في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روّي يومه، أجمع، أي: فكّر؛ أمِن اللَّه تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان، فسمي اليوم يوم التروية. ثم رأى ليلة عرفة ثانيها، فلما أصبح عرف أن ذلك من اللَّه تعالى، فسُمي اليوم يوم عَرَفة.

السابع: لأن الناس يتعارفون حين يلقَى بعضهم بعضًا من كل طرف وبلد بعيد.

الثامن: إنما سميت بذلك لعلوها، **والعَرْف**: العالي، ومنه: عَرْف الديك، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[1].

التاسع: أن إبراهيم عليه السلام غدا من بيت سارة، فحلفت أنه لا ينزل عن ظهر دابته حتى يرجع إليها من الغيرة. فأتى إسماعيل عليه السلام ثم رجع، فحبسته سارة ستة أشهر ثم استأذنها فأذنت له، فخرج، حتى إذا بلغ مكة وجبالها، فبات ليلة يسير حتى أذن اللَّه تعالى له في ثلث الليل فكان عند جبل عرفة. فلما أصبح عرف البلاد (٤٣/أ) والطريق، فجعل اللَّه عرفة حيث عرف، ذكره الثعلبي مرفوعًا من حديث يَعلَى بن الأشرف[2] عن عبد اللَّه بن جراد[3] عن النبي ﷺ.

العاشر: أن الأصل في هذين الاسمين قديمًا: **عرفة للزمان، وعرفات للمكان**؛ من الصبر، يقال: رجل عارف؛ إذا كان صابرًا خاضعًا خاشعًا.

---

(١) «الأعراف» (آية: ٤٦).

(٢) في «الإصابة» (٢/ ٢٧٩) «يعلي بن الأشدق».

(٣) في «م،س»: «حراد»، وفي «ق»: «جراد». وهو الصواب كما في «تاريخ البخاري» (٥/ ٣٥)، و«الإصابة» لابن حجر (٢/ ٢٧٩).

ويقال في المثل:

«النفس عروف وَلِمَا حَمَّلْتَها تْحمِلُ»

قال الشاعر:

فَصَبَرْتِ عَارِفَةً لِذَاكَ[1] حُرَّةً حَتَّى إذَا نَفْسُ الجَبَانِ تَقَطَّعُ

أي: نفسًا صابرة.

وقال ذو الرمَّة: عُروفٌ لما حَطَّتْ عَلَيْهِ المَقَادِرُ.

أي: صبور على قضاء اللَّه.

فسُمِّيا بهذا الاسم؛ لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء وأنواع البلاء واحتمال الشدائد والمشاق لإقامة هذه العبادة. والعارف: الخاضع.

* **وأما عرفة؛** فقال الشيخان الموفَّق والمجْد:

حدُّ عرفة: من الجبل المشرف على عرفة إلى الجبال المقابلة له إلى ما يلي حوائط بني عامر.

وقال ابن عباس: حدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنه إلى جبال عرفة إلى وصيق إلى ملتقى وصيق ووادي عرفة.

قوله: ووادي عَرَفة: ذكره بعضهم: بالفاء، وبعضهم: بالنون، ورد رواية النون في: **«تحفة الكرام بأخبار البلد الحَرَام»**.

* **وذكر بعضهم أن لها أربعة حدود:**

أحدها: ينتهي إلى جادّة طريق السَّرف.

---

(١) في «ق»: «لذلك».

والثاني: إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات.

والثالث: إلى البساتين التي تلي قرية عرفة. وهذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفة.

والرابع: ينتهي إلى وادي عرنة، وليس من عرفات وادي عرنة.

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في «شرح العمدة»:

عبارة كثير من أصحابنا: أن بطن عرنة ليس من عرفات، وعبارة بعضهم تقتضي: أنه من عرفات، وإنما استثني من الوقوف. وهذه عبارة الشيخ.

ولعل حجة هذا القول: أنه قد روي في أحاديث كثيرة: أن النبي ﷺ خطب الناس في عرفات، وإنما خطب ببطن عرنه.

والعبارة الأولى: أسدّ؛ لأن النبي ﷺ (٤٣/ب) قال في الأحاديث الصحيحة: «عرفة كلها موقف»[١]. انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

*** وقال ابن عبد البرّ:**

أجمع العلماء: على أن من وقف ببطن عرنة: لا يجزيه. وحُكي عن مالك: أنه يهريق دمًا، وحجُّه تام.

*** واختلفوا في نَمِرة:**

فقال البغوي والنووي والزركشي والشافعي: ليست من عرفة، وقاله الشيخ تقي الدين في **«شرح العمدة»**، وهو ظاهَر **«المحرر»**؛ لأنه قال: سار إلى نَمِرة فأقام بها إلى[٢] الزوال، ثم يجمع بين الصلاتين إن كان ممن يجوز

---

(١) «مسلم» (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه الطويل في صفة حجة النبي ﷺ.

(٢) «إلى» سقطت من «م».

له الجمع ثم يأتي عرفة، وكذا قال في «**التلخيص**»: أقام بنَمِرة، وقيل: بعرفة.

وقال في «**المغني**»: فيقيم بنَمِرة، وإن شاء بعرفة.

وقال الزركشي في «**شرح الخرقي**»: نَمِرة موضع بعرفة، وهو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت عن[1] مأزمي عرفة تريد الموقف، قاله المنذري، ثم قال عن قول صاحب «**التلخيص**»: إنه ليس بجيد، يعني: في حكايته القولين: أن نَمِرة من عرفة. وكذلك قال صفي الدين في «**شرح المحرر**»؛ فإنه قال: يُفهم من كلام المصنف: أن نَمِرة ليست من أرض عرفة؛ لأنه قال بعد ذلك: ثم يأتي عرفة، وليس كذلك؛ فإن نمرة منها، وهي داخلة في تحديده، وكذا قال ابن الصباغ: هي من نمرة، وهي بفتح النون وكسر الميم، قال النووي: ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها، فتبقى فيه ثلاثة أوجه كما في نظائرها.

* * *

(١) في «ق»: «عند» وفي «ع» «من».

الباب الرابع والأربعون
في ذكر المجاورة بمكة شرَّفها اللَّه تعالى:

* **اختلف العلماء في المجاورة بمكة:**

فكرهها أبو حنيفة، ولم يكرهها أحمد بن حنبل، في كثير من العلماء، بل استحبوها.

فمن كرهها؛ فلأربعة أوجه:

أحدها: خوف الملل.

الثاني: قلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان.

الثالث: لمهج الشوق بالمفارقة؛ فينشأ داعية العود؛ فإن تعلُّق القلب بالكعبة والإنسان في بيته خير من تعلُّق القلب بالبيت.

الرابع: خوف ارتكاب الذنوب هناك، فإن الخطايا ثمَّ ليس كالخطايا (٤٤/أ) في غيره؛ لأن المعصية تتضاعف عقوبتها - كما تقدم في «**الباب الثامن والعشرين**».

* **وعلى هذا؛** يكون الكراهة لضعف الخلْق وقصورهم عن القيام بحق المكان.

قال أبو عمرو الزجَّاجي: من جاوَرَ الحرم وقلبه متعلق بشيء سوى اللَّه تعالى فقد أظهر خسارته.

* **وأما من لم يكره المجاورة ورآها فضيلة**؛ فلفضيلة المكان، ومضاعفة الحسنات - على ما سبق، وقد جاوَر بها خلق كثير، وسكنها مِنَ المعوَّل عليهم بَشَر عظيم.

* * *

الباب الخامس والأربعون
في كراهة نقل تراب الحرم وحجارته إلى الحلّ وعكسه

* **ذكر الأزرقي** بسنده، عن عبد العزيز بن أبي رواد أنه قال: سمعت غير واحد من الفقهاء يذكرون: أنه يُكره أن يخرج أحد من الحرم من ترابه أو حجارته بشيء إلى الحِلّ، قال: ويُكرَه أن يُدخل من تراب الحِلّ أو حجارته في الحرم بشيء[١].

ورُوي عن ابن الزبير: أنه تقدَّم يومًا إلى المقام ليصلي وراءه فإذا حصباء بيضاء أُتِيَ بها فطرحت هناك، فقال: ما هذه البطحاء؟ قال: فقيل له: إنه أُتيَ بها من مكان كذا وكذا خارج من الحرم. قال: فقال: القطوه وارجعوا به إلى المكان الذي جئتم به منه وأخرجوه من الحرم، ولا تخلطوا الحلّ بالحرَم[٢].

* * *

(١) «أخبار مكة» (٢/ ١٥٠).

(٢) نفس المصدر.

الباب السادس والأربعون
في بيان الحجاز:

* **قال الأصمعي**: سمّي «حجازا»؛ لأنه حجز بين نجد وتهامة.

وعنه أيضًا: إنما سمي «حجازًا»؛ لأنه احتُجز بالحِرار الخمس: حَرَّة بني سلَيْم، وحرَّة واقم، وحَرَّة راجل، وحَرَّة ليلى، وحَرَّة النار.

* **وقال ابن الكلبي**: سُمي «حجازًا»؛ لما احتُجز بالجبال، وقيل: لأنه فَصل بين نجد والسَّراة، وقيل: بين الغوْر والشام، وقيل: بين تهامة ونجد.

* **وقال الراغب**: قيل: سمي «حجازًا»؛ لكونه حجز بين الشام وبين البادية.

* **وقال أصحاب الإمام أحمد**:

«**الحجاز**»: مكة، والمدينة، واليمامة ، وخيبر، والبقيع، والفدك، ومخاليفها.

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: منه تبوك ونحوه، وما دون المنحنى، وهو (٤٤/ب) عقبة الصوان من الشام كَمَعان.

وقال الشافعي: «الحجاز»: مكة، والمدينة، واليمامة، ومخاليفها، أي: قراها.

وعن الكلبي: أن حدود «الحجاز»: ما بين جبل طَيّ إلى أطراف العراق.

وعن الجرمي: أن تبوك وفلسطين من «الحجاز».

وقال الرافعي: كلمة الأصحاب متفقة: أن اليمن يدخل في «الحجاز».

وقال صاحب «المطالع»: «الحجاز» ما بين نجد والسَّراة.

وقيل: جبل السَّراة، وهو الحد بين تهامة ونجد، **وذلك**؛ بأنه أقبل من قَعرة اليمن، فسمته العرب: «حجازًا» وهو أعظم جبالها وما انحاز إلى شرقيه: فهو «حجاز».

* * *

الباب السابع والأربعون
في ذكر جزيرة العرب:

* **قال ابن صاعد**: سُميت «جزيرة»؛ لأن البحر محيط بها من جهاتها الثلاثة: التي هي المغرب والجنوب والمشرق.

* **وقال الخليل**: إنما قيل لها «جزيرة»؛ لأن نهر الحبش ونهر فارس والفرات قد أحاطت بها، ونُسبت إلى العرب؛ لأنها أرضها ومسكنها ومعدنها.

* **قال الأصمعي**: هي ما بين عدن أبين إلى أطراد الشام بالراء المهملة، أي: أطرافها طولًا، وأما العرض: فمن جُدة وما والاها من شاطئ البحر إلى ريف العراق.

* **وقال أبو عبيدة**: هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى تهامة طولًا. وأما العرض: فما بين رمل يبرين إلى منقطع السَّماوة.

ونقل البكري: أن «جزيرة العرب»: مكة، والمدينة، واليمن، واليمامة.

* **وقال بعضهم**: «جزيرة العرب» خمسة أقسام: تِهامة، ونجد، وحجاز، وعروض، ويَمن.

فأما «تِهامة»: فهي الناحية الجنوبية من الحجاز.

وأما «نجد»: فهي الناحية التي بين الحجاز والعراق.

وأما «الحجاز»: فهو جبل يُقبل من اليمن حتى يتصل بالشام، وفيه المدينة وعمان[١]، وسمي «حجازًا»؛ لأنه حجز بين نجد وتهامة.

وأما «العروض»: فهو اليمامة إلى البحرين.

وأما «اليمن»: فهو أعلا من تهامة.

* **وقال الإمام أحمد**: «جزيرة العرب»: المدينة وما والاها.

قال بعضهم: يريد: مكة، واليمامة، وخيبر، والينبع، وفدك، ومخاليفها، وما والاها.

وفي «المغني»: «جزيرة العرب»: ما بين الوادي إلى (٤٥/أ) أقصى اليمن، قاله: سعيد بن عبد العزيز.

قال ابن القيّم: وقد أدخل بعض أصحاب الشافعي اليمن في «جزيرة العرب»، ومنعهم - يعني المشركين - من الإقامة فيها. وهذا وهم، فإن رسول اللَّه ﷺ بعث معاذًا قبل موته إلى اليمن، وأمره أن يأخذ من كل حالم دينارًا وأقرَّهم فيها[٢]. وأقرهم أبو بكر رضي اللَّه عنه بعده. وأقرهم عمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم، ولم يُجْلوهم من اليمن مع أمر رسول اللَّه ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب[٣]، ولم يعرف عن إمام؛ أنه أجلاهم من اليمن، وإنما قال الشافعي وأحمد: يُخْرجون من مكة، والمدينة، واليمامة، وخيبر، والينبع، ومخاليفها، ولم يذكر «اليمن»، ولم

---

(١) في «م،ق» «عمار».

(٢) رواه أبو داود (١٥٧٦)، والترمذي (٦٢٣) وقال: هذا حديث حسن.

(٣) «البخاري» (٣٠٥٣) من حديث ابن عباس.

يجلوا مَن تيماء[١] أيضاً، وكيف تكون «اليمن» من «جزيرة العرب»، وهي وراء البحر، والبحر بينها وبين الجزيرة، فهذا القول غلط محض !..

* * *

(١) «تيها» في جميع النسخ، وفي «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ١٧٨) «لم يجلوا من تيماء» وكذا «ع».

الباب الثامن والأربعون
في ذكر خصائص البيت والمسجد الحرام وأحكامهما:

*** خصائصها كثيرة وأحكامها منيرة، أجلّ من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى . وسأذكر منها ما يسَّره الكريم طامعاً في ثوابه العميم:**

* **الأول**: أن الكعبة أول بيت وضع على الأرض، كما سبق الكلام عليه .

* **الثاني**: أن إحياء الكعبة بالحج في كل سنة من فروض الكفايات، ذكره علماؤنا والشافعية؛ **حتى قال بعضهم**: لا يسقط فرض الكفاية إلا بفعل جمع كثير، بمعنى: أنه لو حج إثنان أو ثلاثة: لا يسقط.

* **الثالث**: أن تقدم المأموم على إمامه في الموقف في غير المسجد الحرام مبطل للصلاة عندنا وعند الشافعية، وأما في المسجد الحرام: فيجوز تقدم المأموم اذا كان في جهتين وفاقًا للأئمة الثلاثة.

قال في الخلاف: وأومأ إليه في رواية أبي طالب، وقيل: وجهه خلافاً لهم .

وقال أبو المعالي بن منجا: إن كان خارج المسجد بينه وبين الكعبة مسافة فوق بقية جهات المأمومين فهل يمنع الصحة كالجهة الواحدة أم لا ؟ فيه وجهان.

* **الرابع**: من قابل إمام[١] فجعل وجهه إلى وجهه: لم تصحّ صلاته (٤٥/ب)، وحول الكعبة: تصحّ إجماعاً.

* **الخامس**: لو تقابلا داخلها صحت أيضًا في الأصح؛ وفاقًا للأئمة الثلاثة.

* **السادس**: لو جعل ظهره إلى ظهر إمامه صح؛ لأنه لا يعتقد خطأه.

* **السابع**: إن صلاة الفرض لا تصح في الكعبة عند إمامنا، وهو المشهور عند أصحابه.

ونقل عن ابن جرير وبعض الظاهرية: لا تصح الصلاة فيها فرضًا ولا نفلا.

ونُقل عن مالك: لا يصلّى الفرض ولا السُنن فيها، ويصلّى فيها التطوّع.

ومذهب أبي حنيفة والشافعي: الجواز فرضًا ونفْلا.

وقد صحّ عن النبي ﷺ: أنه دخل البيت وصلّى فيه ركعتين من رواية بلال[٢]، فأخذ به الإمام أحمد في النفل؛ لأنهما: نفل، وأبقى الفرض على عموم قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[٣]، أي: تلقاء. والذي هو داخله؛ إنما يتوجه تلقاء بعضه، ويكون مستدبرًا لبعضه.

* **الثامن**: إن صلاة الفرض لا تصح على ظهر الكعبة، كما قلنا داخلها، لكن لو وقف على منتهاه بحيث لم يترك وراءه شيئاً منها: صحت على المنصوص.

---

(١) في «ق»: «إماما»، وفي «م» «إمام».

(٢) رواه البخاري (٥٣٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) «البقرة» (آية: ١٤٤).

التاسع: إن صلاة النفل في الكعبة: لا تصح في روايةٍ عندنا؛ ولكن المذهب: الصحة.

* **العاشر**: أن صلاة النفل لا تصح على ظهرها - على رواية كالفرض، والمذهب: الصحة.

* **الحادي عشر**: هل يستحب[1] صلاة النفل فيها أم لا ؟ فيه روايتان عن إمامنا، والمذهب: الاستحباب.

* **الثاني عشر**: إن صلاة النافلة في البيت أفضل من المسجد لما فيه من الخلوص والبعد عن الرياء، فهل يأتي مثل ذلك في المسجد الحرام أم لا ؟

إن قلنا: إنَّ المضاعفة فيه تعم الفرض والنفل ولا تتعدى المسجد، فتكون النافلة فيه أفضل، وإلا فلا. لكن يُستثنى من ذلك ركعتا الطواف.

* **الثالث عشر**: إن نظر المصلي إلى موضع سجوده في غير التشهد أفضل مما سواه؛ فلو كان يصلي في المسجد الحرام؛ فهل الأولى النظر إلى الكعبة لترتب الثواب على مجرد النظر؛ وإن لم يكن في صلاة أو المحافظة على النظر إلى موضع السجود؛ لأنه مجمع القلب، والنظر يلهي عن الخشوع: الذي هو مقصود الصلاة - وشرط صحتها على وجه عندنا -، أو يفصل (٤٦/أ) بين من يلهو بالنظر وبين غيره: فيه ثلاثة أوجه للشافعية.

وأما كلام علمائنا؛ فظاهر كلامهم: أنه ينظر إلى موضع سجوده. ولو قيل بالوجهين الآخرين لما كان بعيدًا، ولعل الثالث أقربهما لتحصيل العبادة بالنظر مع المحافظة على الخشوع.

* **الرابع عشر**: يحرم المرور بين سترته، إن كان له سترة ولوبعُد منها،

---

(١) في «ق»: «تستحب».

وكذا بين يديه قريبًا مع عدمها.

والقرب: ثلاثة أذرع، وقيل العُرف.

وهل مكة هنا كغيرها ؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد، وفي «**المغني**»: الحرم كمكَّة، ونقل بكر: يكره المرور بين يديه إلا بمكة لا بأس به.

* **الخامس عشر**: لا يقطع الصلاة فيها مرور شيء بين يدَي المصلي.

قال أحمد في رواية أبي طالب: فضلت مكة بغير شيء إلى أن قال: ولا يقطع الصلاة فيها شيء غير المرأة بين يدي الرجل.

* **السادس عشر**: يحرم النفل المطلق في أوقات النهي الخمسة إلا بمكة. قاله: الإمام أحمد في رواية أبي طالب المتقدمة، فإنه قال: يصلي فيها، يعني: مكة، أي ساعة شاء من ليل أو نهار، واستثنى بعض الشافعية الحرم كله ووجهه بعض علمائنا: إن قلنا إنه كمكة في مسألة المرور المتقدمة.

وفي السُنن من حديث جبير ابن مُطْعِم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلى أي ساعة شاء من ليل أو نهار»[(١)].

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين[(٢)].

وفي رواية: «لا صلاة بعد الصبح إلا بمكة»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود (١٨٩٤)، والترمذي (٨٦٨)، والنسائي (٥٨٥) وابن ماجه (١٢٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) «المستدرك» (١/ ٤٤٨).

(٣) المسند (٥/ ١٦٥) البيهقي (٢/ ٤٦٢) الدارقطني (١/ ، ٤٢٤ ٢/ ٢٦٥).